دراسات
في
العصر الجاهلي

تأليف

محمد أبو الفضل

Bibliotheca Alexandrina
0018987

7515

دراسات في العصر الجاهلي

تأليف

احمد أبو الفضل

الهيئة العامة لمكتبة الأسكندرية
رقم التصنيف : [illegible]
رقم التسجيل ١٣٤٧١٧

المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية (الكتاب الأول)

مقدمة

مدخل إلى تاريخ الجزيرة العربية

بقيت الجزيرة العربية إلى عهد ظهور الإسلام محوطة بالغموض لبعدها عن الاتصال بالعالم ، فكانت تعيش فى شبه عزلة ، ولانعرف إلا القليل عن طبيعة حياتها الداخلية ، ولهذا كان من الصعوبة بمكان دراسة تاريخ العرب فى تلك الحقبة الغابرة بالمنهج العلمى الدقيق الذى يعرفه العلم الحديث من كلمة التاريخ . وقد كان من المظنون إلى أمد قريب أن جزيرة للعرب لم تنشأ بها الحضارات والمدنيات فى الزمن القديم مما يدل على أثر للعرب فى تقدم العالم أو يؤكد صلتهم بتطور الإنسانية فى خطى الرقى والازدهار ، وأن العرب لم تقم لهم قائمة من سياسة الحكم ونظام الملك ، ولم يعرفوا عهدا من عهود الدول القوية السلطان ، الواسعة النفوذ ، المرهوبة الجانب فى العصور الماضية .

ولكننا إذا صرفنا النظر عن إشارات وردت فى الكتب المقدسة مثل القرآن الكريم والتوراة ، وعن كثير من أخبار العرب ورواياتهم التى لايزال العلم الحديث يعدها من قبيل الإسلام ، فسنجد أن البحث والتنقيب الذى بدأ فى جزيرة العرب منذ القرن التاسع عشر الميلادى — قد صحح هذه الآراء وقلب تلك النظريات رأسا على عقب وأثبت أن الجزيرة العربية كانت مهدا كبيرا من مهود الانسانية وأنها شاهدت كثيرا من الدول والممالك فى عهود مختلفة ، كما كشف عن كثير من الآثار المادية التى تدل على ثقافة وحضارة ، وتحقق البحث أيضا من وجود آثار أخرى لم يكشف النقاب عنها بعد ، ولاتزال تتطلب الجهد والعناء فى سبر أغوارها وتجلية أسرارها واستفسارها عن الحقائق التاريخية التى اقترنت بها ، زيادة على ماعرفه العلماء حتى الآن .

بل لقد أثبت البحث الحديث فى جغرافية الجزيرة العربية وطبيعة أرضها وتكوينها أنها لم تكن فى القديم كما هى عليه الآن ، يبس وجفاف ، وفقر فى الأموال والأنفس والثمرات بل كانت شبه جزيرة بالمعنى الجغرافى الصحيح ؛ تجرى فيها الأنهار ، وتتكاثر الأمطار ، وتنتشر البحيرات العذبة فى شتى بقاعها ، ويعم الخصب أكثر أرجائها . وربما كان من آثار هذه الحقيقة مارواه إخباريو العرب من أن المرأة كانت تسير شوطا قريبا حاملة سلة على رأسها ، فلا تلبث أن تمتلىء هذه السلة بالفاكهة من مختلف الثمار ، وأن الرجل لم يكن يحتاج إلى زاد فى رحلته للتجارة أو غيرها من اليمن إلى الشام اعتمادا على مايجنيه فى طريقه من خيرات الأرض كما قد يكون من الشواهد على ذلك ماورد فى النقوش المسمارية وغيرها من أن الجزيرة العربية كانت تصدر الأخشاب والصمغ وغير ذلك من مواد البناء إلى مختلف البلدان .

على أنه ربما كان من أشد الفترات ظلاما فى حياة الجزيرة تلك الفترة المصطلح على تسميتها بالعصر الجاهلى ، إذا فهمنا من هذه التسمية المرحلة السابقة على الإسلام بنحو قرن ونصف القرن من الزمان كما هو معروف فى تاريخ الأدب العربى . فقد تجلت حياة البداوة فى هذه الحقبة على أهالى الجزيرة فى الوسط والشمال ، كما غلب عليهم فى الجنوب الضعف والانحلال حيث تقلص سلطان الممالك القديمة ، ووجد الأجانب من أحباش وفرس — من خلال التحكم فى مصائر أهلها — مطمعا فى السيطرة عليها بل مطمحا فى الاستيلاء على الجزيرة كلها بواسطة أهليها أنفسهم ، وربما كان هذا هو التفسير الصحيح لحملتى إبرهة من الجنوب والفرس من الشمال الشرقى ؛ إذا كان الهدف من الأولى هو استخدام عرب الجنوب فى غزو شمال الجزيرة ثم الاستيلاء عليها كلها بالتضامن مع الروم ، ولما علم الفرس بذلك تحركوا من جهة الحيرة لإحباط الخطة الحبشية الرومية ، وسبق الروم — وهم خصومهم الألداء — إلى هذا الانتصار العسكرى العظيم .

هذا التحلل والتفكك ، إلى جانب الأمية التى سادت العرب فى هذه المرحلة الزمنية ، كان من شأنه أن يفقد العرب حاستهم التاريخية إذا كانوا قد تمتعوا من قبل بهذه الحاسة ، فلم نجد لديهم أثرا ماديا أو كتابيا يسجل أطوار تاريخهم أو يبين نظام حياتهم ، وأساوب معيشتهم ، كما لم نحصل عند الأمم المجاورة على بيانات كافية فى توضيح هذا الجانب الزمنى من حياة العرب لشدة تخلفهم فى هذا العصر وقلة احتكاكهم بدول العالم كأمة واحدة ذات كيان مستقل يشمل جميع فروعهم ويضم سائر أنسابهم تحت نظام موحد .

وليس لدينا من تاريخ هذا العصر الجاهلى إلا مجموعات من الأخبار والروايات التى تناقلها إخباريو العرب جيلا عن جيل ، وأضيف إليها كثير من الأساطير والشروح والتفاسير ، ولم تصل هذه المعلومات إلى تدوين كتابى إلا فى زمن متأخر عن زمن مصادرها ؛ أى منذ أواسط القرن الثانى للهجرة . وطبيعى أن مثل هذه الأخبار أبعد ماتكون عن أن تقدم أساسا تاريخيا صحيحا ، أو تعتبر وثائق تستقى منها المعلومات وتستخلص النتائج ومن ثم نجد أن من تصدوا لتاريخ العصر الجاهلى يختلفون كثيرا فى أكثر جزئيات هذا التاريخ ، ولعلهم لم يصلوا بعد إلى رأى حاسم فى معرفة أنساب العرب وتحديد عناصرهم ، وتمييز أقسامهم وطبقاتهم ، ولذلك أيضا نجد المؤرخين المحدثين — وبخاصة الأوربيين — إذا تعرضوا لتاريخ جزيرة العرب اقتصروا على تاريخ عرب الجنوب ومن تفرع عنهم فى الشمال كالثموديين واللحيانيين ، وربما تجاوزوا ذلك إلى دراسة كل من وجدت لهم نقوش من سكان الجزيرة وأطرافها كالنبط والتدمريين .

أما عرب الجاهلية بالمعنى الذى نقصده هنا فانهم يضربون عنهم صفحا فى التاريخ العلمى لندرة مايجدونه من المصادر التى يعتمد عليها فى ذلك ، ولكننا مع ذلك سنظل مجبرين إلى الرجوع إلى هذه المصادر من الأخبار والروايات

واستفسارها عن حقيقة الجزيرة العربية وأهلها فى العصر الجاهلى إلى أن يهتدى العلم الحديث إلى وسائل أخرى تميط اللثام عن بيانات مؤكدة وحقائق ثابتة .

وقصارى هم المؤرخ الحديث تجاه هذه المصادر المضطربة أن يسلك فيها سبيل الموازنة والمقارنة ومقابلة الأخبار بعضها ببعض وعرضها على مابقى من تراث أدبى للعرب فى هذا التاريخ ، على أن يؤخذ هذا التراث الأدبى أيضا بحذر كبير لكثرة المنحول عليه والمضاف إليه . كما على المؤرخ الحديث أيضا أن يتلمس الأصداء ويترسم الظلال التى تركتها حياة العرب فى البلدان المجاورة ، ومايمكن أن يكون هناك من آثار اتصال واحتكاك بين أفراد من العرب على الأقل وبين غيرهم من الأمم أو الشعوب .

وإذن فسيكون عرضنا فى هذه الدراسات هو عرض صورة معتمدة على الأخبار والروايات العربية وغيرها عن حياة العرب فى الجاهلية ، ونظام مجتمعاتهم وأسلوب معيشتهم داخل الجزيرة العربية ، وربما كان لزاما علينا قبل ذلك أن نتعرض لوصف شبه الجزيرة العربية من الوجهة الجغرافية ، ثم بحث مدلول اسم العرب وأصل اشتقاقه ووجه إطلاقه ، ثم تفسير معنى الجاهلية ، وتحديد زمنها ، ثم تقسيم العرب إلى طبقات وأقسام على حسب ماهو متبع فى سائر الأخبار والروايات ، ولعله من المفيد أيضا أن نتعرض للمجتمعين المكى والمدنى — أو بتعبير دقيق — مدينتى مكة ويثرب . ونختتم البحث بعرض موجز لمدينة أوفير التى كان يجلب منها سليمان الذهب .

وحسبى أن أقدم للقارئ والباحث أيضا بعض المعارف عن تاريخ ما أهمله التاريخ . ولا أزعم أنى ارخت لهذه الحقبة الزمنية بالمعنى المفهوم من كلمة التاريخ ، وإنما كل مافعلته هو أنى نقلت للقارئ خلاصة قراءاتى فى دراسة سهلة ميسرة ، ولم أشأ أن أثقل عليه بالإحالة على المصادر والمراجع — وإن كنت لم أغفل ذلك كلية على امتداد هذه الدراسات .

وليس بحثى هذا إلا محاولة متواضعة جدا فى جانب من جوانب الدراسات التاريخية الواسعة مزجتها أحيانا بتاريخ الأدب . ولا أدعى أننى جئت بجديد ، وكل ما أستطيع أن أقوله ، إنها فيما عدا استشهادى بأفكار غيرى بعد مناقشتها والحكم لها أو عليها ، من تفكيرى وحدى : لى فيها ثواب المجتهد وعذر المخطىء .

وعلى الله قصد السبيل ، وماتوفيقى إلا بالله ، عليه توكلت وإليه أنيب .

رمضان سنة ١٣٨٧هـ (ديسمبر ١٩٦٧م)

أحمد أبو الفضل عوض الله

الفصل الأول

جغرافية الجزيرة العربية

تحديد الجزيرة (١):

كان العرب يفهمون معنى الجزيرة كما نعرفه اليوم ، ويسمون بلادهم جزيرة بهذا المعنى ويرون أن الأنهار والبحار تحيط بها من جميع الجوانب .

ولعل أول ما وصلنا من ذلك هو ما نقله ياقوت فى (معجم البلدان) عن أبي المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي مسندا إلى ابن عباس رضى الله عنه قال : « وإنما سميت بلاد العرب جزيرة لإحاطة الأنهار والبحار بها من جميع أقطارها وأطرافها ، فصاروا منها فى مثل الجزيرة من جزائر البحر » .

ومعنى ذلك أن بلاد العرب — وإن كانت تحيط بها البحار من ثلاث جهات فقط وهى الشرق والغرب والجنوب — فان نهر الفرات يحفها من الشمال الشرقى إلى الشمال منعطفا عليها إلى مسافة قريبة من البحر الأبيض المتوسط عند مدينة قنسرين .

وعلى ذلك فان العرب يدخلون فى جزيرتهم كلا من سوريا ولبنان وفلسطين كما يتضح ذلك من تفسير ابن الكلبي عند ياقوت فى مادة : (جزيرة العرب) . وإذن فحدود الجزيرة عند العرب هى :

بحر عمان ، ثم خليج العرب (الخليج الفارسى) والمحيط الهندى وخليج عدن جنوبا والبحر الأحمر (بحر القلزم) ثم سيناء والبحر الأبيض غربا ، ونهر الفرات إلى قنسرين فى الشمال الغربى من سوريا شمالا .

وربما كان السبب فى تحديد ابن عباس أو ابن الكلبي جزيرة العرب على هذا النحو هو ما أحس به العرب الفاتحون فى أول التاريخ الإسلامى من تقارب سكان سوريا وفلسطين وسيناء مع سكان بلاد العرب الأصلية فى الجنس واللغة وطبيعة الحياة .

ومعروف أن أكثر سكان تلك البلدان — إن لم يكن كلهم — كانوا من أصل سامى صادر عن جزيرة العرب فى أرجح الأقوال ، كما كانت لغاتهم تتشابه

---

(١) راجع « معجم البلدان » لياقوت ؛ أبى عبد الله الحموى الرومى البغدادى — ليبزج — بروك هوس ١٨٦٦ م .

إلى حد كبير مع لغات عرب الجزيرة الأصليين. أما علماء الغرب فيجعلون الحد الشمالى لجزيرة العرب خطا وهميا يمتد من خليج العقبة إلى مصب دجلة والفرات المسمى (شط العرب) . وعلى ذلك يكون النفود الشمالى المسمى قديما بالدهناء أو رمل عالج ، وهى تسمية أخرى للنفود – حدا يفصل أرض الهلال الخصيب عن شبه الجزيرة .

وقد يكون هذا التحديد سياسيا أكثر منه جغرافيا طبيعيا ، لأن طبيعة أرض الهلال الخصيب من الناحية الجيولوجية والطابع الصحراوى العام لاتختلف عن سائر أنحاء الجزيرة . أما التحديد العربى فهو أقرب إلى التحديد الطبيعى ، لأن الأصل فى الحدود أن تكون أنهارا أو بحارا أو جبالا شامخة تفصل بعض البلاد عن بعض أو صحارى كذلك .

ولقد كان قدماء المصريين يعدون كل ما هو شرقى بلادهم إلى حدود بابل بلادا واحدة يسكنها العرب ، وهذا مما يؤيد التحديد العربى القديم .

تقسيم الجزيرة :

على أننا من ناحية أخرى إذا نظرنا فى تقسيم العرب لجزيرتهم ، نجدهم يدخلون سوريا ولبنان وفلسطين فى ذلك التقسيم .

فالعرب – كما تدل على ذلك أشعارهم وأخبارهم – يقسمون الجزيرة خمسة أقسام هى :

تهامة . والحجاز . ونجد . والعروض . واليمن .

وجميع هذه الأقسام – إذا تبيناها – واقعة فى داخل الجزيرة حتى بادية الشام ولاتدخل فيها الشام وما والاها .

ونحن إزاء ذلك لانجد سبيلا لحل هذا التعارض إلا ما أشرنا إليه آنفا من أن بلاد العرب الأصلية هى شبه الجزيرة إلى حدود بادية الشام فقط ؛ فهذا

هو المهد العربى الحقيقى الذى يضم بين جوانبه العرب الخلص — بصرف النظر عن الفروع التى تفرعت من الجزيرة وأخذت أسماء أخرى :

أما تحديد ابن عباس فهو مبنى — فيما يظهر — على الناحية الجيولوجية أولا ولعله لوحظ فيه أيضا ما وجده المسلمون عند الفتح فى سوريا ولبنان وفلسطين من أنساب عربية أو قريبة إلى العربية ومن لغات تمت إلى لغة العرب بقرابة ظاهرة .

فأقسام الجزيرة عند العرب هى خمسة . وأساس هذا التقسيم عندهم هو جبل السراة ، وهو أعظم جبال العرب ؛ وبالأحرى هو سلسلة جبال تمتد من اليمن جنوبا إلى أطراف بادية الشام شمالا فى موازاة البحر الأحمر حيث تقترب منه هذه الجبال فى عدة مواضع ، وهى تتفاوت فى الارتفاع والإنخفاض ومتوسط ارتفاعها نحو خمسة آلاف قدم ، وتصل أحيانا إلى أرتفاع أكثر من ذلك حيث تبلغ زهاء ١٢٣٣٦ قدما فى أرض اليمن . وهذه السلسة الجبلية تقسم جزيرة العرب قسمين : غربى وشرقى :

القسم الغربى وهو أصغر القسمين ينحدر إنحدارا شديدا من سفوح جبال السراة حتى يصل البحر الأحمر ، ومن أجل شدة هذا الهبوط والإنحدار سمى هذا القسم (تهامة) أو الغور ؛ أى الأرض المنخفضة ، وهى منطقة ساحلية ضيقة على ساحل البحر الأحمر تمتد من اليمن فى الجنوب حتى أطراف بادية الشام .

هذه هى تهامة عند إطلاق هذا اللفظ ، وإن توسع فيها العرب فأطلقوها على المنطقة الممتدة من ساحل البحر الأحمر حتى المنحدر الشرقى لسفوح جبال السراة . ولكن العرب كانوا يضيفون اسم تهامة إلى اسم القسم الذى تحاذيه من أجزاء الحجاز واليمن ، فكانوا يقولون : « تهامة الحجاز — وتهامة عسير — وتهامة اليمن » أى الأرض المنخفضة المقابلة لتلك الأجزاء . بل كان العرب يطلقون أيضا اسم تهامة على كل أرض منخفضة حسب المعنى اللغوى ، فقالوا : تهامة العروض ، وغير ذلك من الأقسام الواقعة فى شرقى الجزيرة .

وأكثر أجزاء تهامة رملى شديد الحرارة قليل الإنبات ، وتقع فيها كثير من المرافئ العربية مثل جدة وينبع فى الحجاز ، والحديدة والمخا فى بلاد اليمن وتقع فى شمال هذه المنطقة ميناء صغيرة تعرف باسم الوجه ، وهى عبارة على بلدة صغيرة تشتمل على عدد قليل من البيوت الحجرية . ويرى بعض المستشرقين أن هذه المدينة كانت ميناء مدينة الحجر المعروفة الآن باسم (مدائن صالح) .وتقع جنوبى ميناء الحجر هذه مدينة الحوراء التى يقال إنها : موضع المدينة القديمة Leuk Kome ليوك كوما التى أنشأها اليونان على ساحل البحر الأحمر لحماية السفن من غزوات العرب ، كما كانت مرفأسفن مصر المتجهة إلى المدينة ، ومن هذا الميناء أيضا صدرت غزوة الرومان لبلاد اليمن سنة ٢٤ قبل الميلاد تحت قيادة القائد الرومانى إليوس جاللوس ، وقد باءت هذه الغزوة بالفشل وعادت من حيث أتت .

وعلى محاذاة المنطقة الساحلية المذكورة توجد هضاب ونجود متصلة بها كما سبق أن ذكرنا ، وتقع مكة المكرمة فى المنطقة المحاذية لتهامة الحجاز كما تقع زبيد وبيت الفقيه فى المنطقة المحاذية لتهامة اليمن .

القسم الشرقى وهو أكبر القسمين ، ينحدر شرقى جبل السراة فى تدرج بطىء ، ولهذا كان هذا القسم أعلى كثيرا من تهامة ، وهو يأخذ فى الاتساع والامتداد حتى يصل إلى أرض العروض فى الشرق ؛ أى اليمامة والبحرين وما والاهما. ويسمى هذا القسم أرض نجد: أى الأرض المرتفعة لأنها هضبة عالية فى قلب الجزيرة ، ولذا تسمى فى الإنجليزية The heart of arabia.

ويبلغ متوسط ارتفاع هذه الهضبة ٢٥٠٠ قدم وتتخللها أودية وتلال ترتفع عن سطحها بضع مئات من الأقدام فى بعض الأحيان . ويقسم علماء العرب نجدا إلى قسمين هما :

١ ــ نجد العالية

٢ ــ نجد السافلة .

أما نجد العالية فهى ما يلى الحجاز : ونجد السافلة أو الواطئة فهى مايلى بلاد العراق . وكانت نجد حتى القرن السادس الميلادى ذات غابات وأشجار وبخاصة فى المنطقة الواقعة جنوبى وادى الرمة فى عالية نجد ؛ أى قريبا من جبال شمر فى الشمال ، وتقع أرض طيىء فى شمالى نجد حيث يفصل بينها وبين صحراء النفود جبلا أجأ وسلمى .

وصحراء النفود كانت تعرف قديما باسم الدهناء ، وكذلك باسم رملة عالج ، ولكن غلب عليها اسم النفود بعد ذلك .

ويسمى القسم الشرقى من نجد باسم : الوشوم . ولكن ياقوتا عده فى معجمه من اليمامة . ويسمى سهل نجد الفسيح الممتد بين الوشوم فى الشرق وحرة خيبر فى الغرب وجبال طيىء فى الشمال — يسمى القصيم ، والقصيم : فى اللغة هو الرمل الذى ينبت شجر الغضا ، والغضا شجر من الأثل ، ويعرف أهل نجد باسم أهل الغضا لكثرته فى نجد وإن كان ينبت أيضا فى أماكن أخرى من الجزيرة العربية .

جبال السراة ، (الحجاز) :

أما سلسلة جبال السراة نفسها فهى تعرف بأرض الحجاز ، وهى تلك المنطقة الجبلية العالية الحاجزة بين نجد وتهامة ، وتمتد من شمالى مدين إلى حدود اليمن . وبعض العلماء يعد منها أيضا تبوك وفلسطين ، ويسمى القسم الشمالى من الحجاز مدين ، ويسمى أيضا حسمى : ويطلق حسمى على سلسلة من الجبال تتجه من الشمال إلى الجنوب وتتخللها أودية محصورة بين التيه وأيلا من جهة وبين أرض بنى عذرة من جهة أخرى .

وكانت قبائل جزام تسكن أرض حسمى هذه فى الجاهلية ، وفى الوقت الحاضر يسكنها عرب الحويطات ، ويعتقد بعض المستشرقين أنهم من بقايا النبط .

وتتخلل أرض الحجاز أودية كثيرة أهمها وادى القرى : وهو واد مشهور بين مدينة العلا والمدينة المنورة ، وكان يمر به طريق القوافل القديم بين جنوبى بلاد العرب وبين سوريا ومصر .

ومدينة العلا من أهم المناطق القديمة الواقعة فى ذلك الوادى ، ويعتقد أنها فى مكان المدينة القديمة المذكورة فى العهد القديم (التوراة) باسم دادان ، وفى وادى القرى أيضا تقع مدينة قرح : وهى المدينة التى كان فيها هلاك قوم النبى هود (أى قوم عاد) . ويذكر رواة العرب أن مدينة قرح هذه كانت من الأسواق الكبيرة فى الجاهلية الأولى ، إذ كانت تقع عند ملتقى طريق مصر القديم بطريق الشام ، وكان يسكن هذه المدينة فى الجاهلية قبائل بلى بن عمرو بن الحاف بن قضاعة .

ومن مدن وادى القرى أيضا الحجر : المعروفة بمدائن صالح ، كما تعرف أيضا باسم (البطراء أو البتراء) — وهى باللاتينية Petra

وكانت مدينة الحجر هذه من أهم المدن القديمة فى شمال الحجاز إذ كانت أيضا منزلا هاما من منازل الطريق التجارى بين جنوبى بلاد العرب وبين سورية ومصر ، كما كان يخرج منها فرع من الطريق المذكور وبابل بمحاذاة الحافة الجنوبية لصحراء النفود أو الدهناء ، وكان يتفرع منها كذلك طريق الحجاج إلى مصر والشام والعراق .

وقد عثر الباحثون فى وادى القرى على كثير من الكتابات العربية الجنوبية القديمة ، كما عثروا على كثير من الكتابات العربية الشمالية كالثمودية واللحيانية والنبطية .

وقد ذكرنا أن ميناء مدينة الحجر التى كانت تسمى الوجه فى أرض تهامة ، وكانت تنتهى عند هذا الميناء أرض قبائل بلى بن عمرو : وهى قبائل يمنية قديمة كانت تسكن فى منطقة قبائل ثمود بين أرض جهينة وأرض جزام .

كما كانوا يسكنون شبه جزيرة سيناء ، أى أن منازلهم كانت تقع بين ينبع ويثرب من جهة وبين حدود أرض مصر من جهة أخرى .

أما قبائل جهينة فكانت تسكن عند ميناء قرح ، كما كانت قبائل عذرة بن سعد بن الحاف بن قضاعة اليمنية تسكن كذلك بين وادى القرى ومدينة الحجر .

وتقع فى الحجاز أيضا مدينة يثرب ، وإن قيل أيضا إنها تقع فى نجد لقربها من نجد . ويثرب : هى مدينة الرسول – صلى الله عليه وسلم وهى تقع فى أرض بركانية بين حرتين (الحرة : هى الحجارة السوداء) شمالى جبل أحد .

ومن أودية المدينة وادى العقيق : وهو من أخصب الأودية وأجملها وفيه منازل وقصور وقرى .

ومن أودية يثرب أيضا وادى بطحان : وكان يسكنه بنو النضير ؛ وهم حى من يهود خيبر .

وثالث أودية المدينة هو وادى قناه : وهو واد يأتى من الطائف ثم ينتهى عند أصل قبور الشهداء فى جبل أحد ، وفيه زرع وحرث ومال .

وتقع الطائف : أيضا فى الحجاز ، وهى على بعد ٧٥ ميلا إلى الجنوب الشرقى من مدينة مكة . وسميت طائفا فيما يقال لحائطها الذى كان يحيط بها ، وتسمى الطائف أيضا وادى وج : وهى أرض مرتفعة ممتدة على ظهر جبل غزوان ، ويبلغ ارتفاعها نحو ٥٠٠٠ قدم من سطح البحر .

وقد عثر فى الطائف على نقوش قديمة ، وكان أكثر سكانها عند ظهور الإسلام من ثقيف ، كما كان يساكنهم بطون من حمير . وتحف بالطائف أودية كثيرة تسيل فيها المياه فى موسم الأمطار ، وحولها عيون ومياه وآبار كثيرة .

وفى جنوبى مكة أيضا جبال كانت تسكنها هزيل ، كما كانت هزيل تسكن أيضا فى الجبال بين مكة والمدينة ، وهذه الجبال تسمى سراة هزيل ، وكانت تجاورها قبائل سليم وكنانة .

العروض :

والقسم الرابع من الجزيرة عند العرب هو العروض ، والعروض فى الأصل هو الشيء المعترض ، وتطلق أيضا على الجانب .

ويحدد ابن الكلبى العروض بأنها عبارة عن بلاد اليمامة والبحرين وما والاها . ولعل سبب تسميتها عروضا هى وقوعها فى جانب من الجزيرة أو من هضبة نجد. وقيل لأن عمرانها آخذ بالعرض على خلاف بقية أجزاء الجزيرة فان عمرانها يمتد طولا من الجنوب إلى الشمال . ويطلق لفظ العروض أيضا — فى الكتب العربية — على مكة والمدينة واليمن. كما يطلق أيضا على مكة والطائف وما حولها . كما يقال إن العروض هو ما خالف أرض العراق من أرض العرب . . وكل ذلك غير مراد هنا .

وأغلب أرض العروض صحارى وسهول ساحلية ترتفع فى الجهات الغربية عن ساحل البحر . وتشمل العروض اليوم منطقة كبيرة ؛ تشمل البحرين والأحساء وقطر واليمامة .

البحرين :

وبلاد البحرين كانت تطلق قديما بمعنى يساوى لفظ العروض ، وكانت تشمل المنطقة الممتدة من البصرة إلى عمان ، وهى تشمل — كما ذكرنا — الكويت والأحساء وقطر والبحرين فى العهد الراهن .

الكويت :

منطقة تقع بحزاء البصرة ذات أرض سهلة منبسطة فى الغالب وأكثر سواحلها رملية عدا بعض الهضاب أو التلال البارزة وأكثر ما يزرع بها النخيل حيث تتيسر المياه، وليس هناك من الأنهار غير مجرى صغير أو نهير يقال

له المقطع يصب فى البحر . وماء الشرب فى الكويت إحدى المشاكل لأن أغلب الآبار بها ملح أجاج ، ولذلك تجلب المياه أحيانا من شط العرب ، كما يعتمد اليوم كثيرا على تقطير مياه البحر . ومن أشهر مدن هذه الإمارة مدينة الكويت العاصمة ومدينة جهرة : وهى تقع فى منطقة زراعية خصيبة ذات آبار على مقربة من خليج الكويت .

والمظنون أن الخندق الذى ذكر أن سابورا ذا الأكتاف أمر بحفره ليحمى أرض السواد — وهى العراق قديما — من غزو الأعراب ، المظنون أن هذا الخندق كان ينتهى شمالى هذه الإمارة (الكويت) عند خليج كاظمة .

الأحساء :

وكانت تطلق قديما أيضا على المنطقة الممتدة من البصرة إلى عمان ، أى التى كان يطلق عليها أيضا اسم البحرين ، أما اليوم فهى منطقة تقع جنوبى الكويت ممتدة إلى حدود قطر ، وكانت تعرف قديما باسم هجر .

والقسم الأكبر من الأحساء سهل صحراوى يرتفع فى الجهة الغربية أيضا عن ساحل البحر ويتخلله كثير من التلال الممتدة فى إتجاه وادى المياه وجبل الطف . وأهم أودية الأحساء وادى فروق فى الجنوب الغربى ؛ وهو قسم من وادى المياه ، والقسم الساحلى من الأحساء أرض سبخة على وجه العموم بها عدد كبير من الآبار القريبة المياه من سطح البحر ، والمراعى بها وافرة ، وأغنى بقاع الأحساء هما واحتا الأحساء والقطيف حيث تكثر المياه من آبار وأنهار صغيرة تشبه البحيرات . وعلى العموم فمنطقة الأحساء مشهورة بمياهها الكثيرة وأشجارها الخضرة فى كل مكان ، وتساعد كثرة المياه على زراعة الأرز ولكن المحصول الرئيسى هو التمر الكثير الأنواع ، وأفضله النوع المعروف بالخلاص .

وكان يسكن هذه المنطقة قبل الاسلام خلق كثير من بنى عبد القيس تميم وبكر بن وائل ، وكانت حينذاك تحت حكم الفرس ، ووجه إليها الرسول

صلى الله عليه وسلم — العلاء بن عبد الله الحضرمى فأسلم أهلها من العرب وبعض المجوس وصالحه الباقون على الجزية ، والأحساء اليوم جزء من المملكة السعودية .

البحرين :

قلنا إن البحرين كانت تطلق قديما على المنطقة الممتدة من البصرة إلى عمان بما فى ذلك الكويت والأحساء والبحرين وقطر ، أما اليوم فهى اسم إمارة قائمة فى مجموعة من الجزر تقع فى وسط خليج العرب منفصلة عن ساحل قطر والأحساء ، وكانت هذه الجزر تسمى قديما تيلوس Tulos — وهى عبارة عن جزيرة البحرين وجزيرة المحرق وأم نعسان وستره وعدد آخر من الجزر الصغيرة القليلة الأهمية .

قطر :

وهى شبه جزيرة تمتد من الأحساء شمالا إلى حدود عمان جنوبا ، ومعظم أراضيها صحارى ، وبها واحات قليلة يزوعها السكان على مياه الآبار ، وكانت تعرف قديما بأنواع من الثياب والمنسوجات التى تصدر إلى الخارج ، كما عرفت بتصدير النجائب والنعام .

اليمامة :

والقسم الثانى من أقسام العروض هو اليمامة ، وكانت تعرف قديما باسم الحو . ويعدها ياقوت من أرض نجد ، واشتهرت فى الكتب العربية بأنها موطن طسم وجديس وكانت عامرة ذات قرى ومدن عند ظهور الأسلام. ومن قراها منفوحة ، وبها قبر كان ينسب للأعشى الشاعر ، وقرية سدوس وكانت من المدن القديمة ، وبها الآن آثار كثيرة ، وعثر على تمثال كبير يبلغ قطره ثلاثة أقسام فى أرتفاع ٢٢ قدما . ومن قراها أيضا القرية ، ويبدو أنها كانت مدينة كبيرة رأى الهمدانى بجوارها آبارا وكنيسة منحوتة فى الصخر .

وذكر ياقوت أن أرض اليمامة كلها كانت تسمى باسم هذه القرية أى (القرية) كما كانت تسمى الجو ، وعثر فى القرية على آثار ذات أهمية كبيرة لأنها أول نقوش بالعربية الجنوبية توجد فى هذا الموضع وتعود إلى ما قبل الميلاد ، ويبدو أنها من آثار السبئيين ، كما يظهر أيضا أن هذه المدينة القديمة كانت تتحكم فى الطريق التجارى من اليمن إلى العراق وأرض فارس عن طريق نجران .

وعلى مقربة من القرية آبار تسمى العويفرة . ويرى بترائدتوماس : أن هذه المنطقة هى موضع مدينة أو فير القديمة التى اشتهرت بالذهب وورد ذكرها بالتوراة كما اشتهرت أيضا بالطواويس . وبترائدتوماس يرى أن أن اسمها العربى القديم عفر فحرف فى العبرية أو اليونانية إلى Ofar أو Ophir

والظاهر أن عامل الجفاف أثر كثيراً فى اليمامة وفى أواسط شبه الجزيرة عامة فحول أكثر أراضيها إلى صحارى بعد أن كانت غزيرة المياه تزدهر فيها الزروع والثمار .

وجدير بالذكر أن مدينة الرياض عاصمة المملكة السعودية تقع فى اليمامة :

اليمن :

والقسم الخامس من الجزيرة عند جغرافى العرب هو القسم الجنوبى منها — أى بلاد اليمن ، وكانت اليمن تطلق فى النصوص العربية الجنوبية على منطقة صغيرة بالقياس إلى التقسيم العربى المتأخر إذ كانت تذكر إلى جانب مناطق سبأ وذى ريدان وحضرموت وغيرها .

أما الجغرافيون العرب المتأخرون فيطلقون اليمن على منطقة كبيرة تمتد حدودها من تهامة إلى العروض ، وهى تشمل أقساما مختلفة من النجود والتهائم مثل تهامة عسير فى القسم الشمالى الغربى وهى تابعة اليوم للسعودية ،

ومثل تهامة اليمن : وهى سهل خصيب تنحدر إليه أودية من الجبال المحاذية للساحل ، وهذه الجبال هى إمتداد لجبل السراة الضارب فى الجزيرة العربية من شمالى الحجاز إلى شمالى عدن ، وتمتد وراء تلك الجبال نحو الشرق هضاب فسيحة تتدرج فى الهبوط حتى تنتهى إلى فلاة بعيدة الأرجاء تمتد إلى صحراء الدهناء كما تتصل أيضا بصحراء (صيهد) المعروفة اليوم باسم (الربع الخالى) وفى الجنوب الشرقى من تهامة اليمن تقع منطقة عدن وتسيطر عليها عدة هضاب يخترقها عدد من الأودية التى تبدو أنها بقايا أنهار جافة . ويلى منطقة عدن نحو الشرق منطقة حضرموت الممتدة على ساحل بحر العرب أو بحر اليمن من شرقى بلاد اليمن أو منطقة عدن إلى منطقة سيحوت الواقعة عند مصب وادى حضرموت غربا ، وتنتهى فى الشمال إلى منطقة الربع الخالى ، ومن شرقى سيحوت تبدأ سواحل مهرة التى تعرف عند الجغرافيين العرب باسم الشحر ، ولكن اسم الشحر يطلق اليوم على الميناء الغربى لبلاد مهرة فقط ، ويعرف اليوم الإقليم الممتد من سيحوت إلى حدود عمان باسم ظفار ، وهذه غير ظفار القديمة الواقعة فى منطقة تهامة اليمن عند جبل ريدان والتى قيل فيها : « من دخل ظفار حمر » ؛ أى كان عليه أن يتعلم الحميرية أو يتكلم بها . وترتفع منطقة ظفار الشرقية إلى ٣٠٠٠ قدم فوق سطح البحر ، وتنمو على جبالها أشجار الكندر التى اشتهر بها جنوبى الجزيرة قبل الاسلام .

ثم تلى منطقة ظفار هذه منطقة عمان : وهى أرض جبلية ذات هضاب متموجة وسهول ساحلية ، وفى بعض أنحائها عيون ومجارى مياه معدنية شديدة الحرارة فى أكثر الأحيان ، وأعلى قمة بها هى قمة الجبل الأخضر التى يبلغ أرتفاعها إلى ٩٠٠٠ قدم ، وتحيط بهذا الجبل أراض خصبة .

وفى عمان مدن قديمة منها صحار ودبا وكانت قديما من المدن الهامة ، كما كانت سوقا من أسواق الجاهلية ، وسكانها من الأزد ونزوة .

والعمانيون من الشعوب البحرية ، ولهم صلات منذ القدم بسواحل أفريقيا والهند .

تقسيمات أخرى للجزيرة العربية :

وهناك تقاسيم أخرى لشبه الجزيرة العربية بنيت على وجهات مختلفة من النظر ونكتفى هنا بذكر اثنين منها .

فجغرافيو اليمن : بوجه خاص يقسمون شبه الجزيرة العربية إلى قسمين إثنين كما ذكر ذلك أبو محمد الهمدانى فى كتاب « صفة جزيرة العرب »(١) قال : « هى عند أهل اليمن (أى الجزيرة العربية) يمن وشام ، فجنوبها اليمن وشمالها الشام ونجد وتهامة » .

وفى هذا التقسيم تدخل العروض فى اليمن لا متداد حكم اليمنيين إليها فى حقب كثيرة من التاريخ القديم ، كما تدخل الحجاز ونجد فى قسم الشام .

والظاهر أن لهذه التسمية أصلا فى الجاهلية ، فقد كان العرب يسمون ما كان عن يمين الكعبة للمتجة شرقا باسم اليمن ، وما كان عن شمالها باسم الشام . وفى لفظ اليمن معنى اليمين ، كما فى لفظ الشام معنى الشمال ، ومن ذلك قوله تعالى : « فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة »(٢) .

ويبدو أن كلمة الشام ترجع فى أصل وضعها إلى كلمة (شمأل) التى ورد ذكرها فى عدة كتابات مسمارية فى عهد الملك شلمنصر (٨٦٠ – ٨٢٥ق.م) وتجلتبليزر (٧٣٨ – ٧٣٤ ق.م) وأسرحدون (٦٨١ – ٦٦٨ق.م) – واشوربانيبال (٦٦٨ – ٦٢٦ق.م) .

ولكن معناها فى هذه النقوش هو المنطقة الآرامية التى ازدهرت تحت حكم الآراميين فى شمالى سورية حوالى سنة ١٠٠٠ق. م وما بعد ذلك . وفى معناها الأصلى معنى الشمال والشّمال .

---

(١) انظر كتاب « صفة جزيرة العرب » لأبى محمد الهمدانى – (طبع مصر) ، (طبع ليدن سنة ١٨٨٤ م) .

(٢) الآيتان ٨ ، ٩ من سورة الواقعة .

أما جغرافيو اليونان والرومان(١) :

فهم يقسمون بلاد العرب إلى ثلاثة أقسام طبقا للحالة السياسية التى كانت عليها هذه البلاد فى القرن الأول للميلاد — وهذه الأقسام هى :

(أ) العربية السعيدة : Arabia Felex

(ب) العربية الصخرية أو الحجرية : Aral ia Petreae

(ج) العربية الصحراوية : Arabia Deserta

ولم يظهر هذا التقسيم إلا عند هيرودوت ، وعرفه سترابون Strabon ولم يأخذ به العرب مع أنهم عرفوا جغرافية بطليموس .

(أ) فالقسم الأول هو القسم المستقل ، وهو أكبر الأقسام الثلاثة رقعة ، ويسمى فى اليونانية أيضا أربياباتا Arabia Peata ويشمل كل المناطق التى يقال لهاشبه جزيرة العرب فى الكتب العربية ، وحدوده الشمالية غير ثابتة لأنها كانت تتغير وتتبدل حسب الأوضاع السياسية . ويمكن القول إنه كان يبدأ عند محاذاة مدينة السويس حاليا ممتدا إلى الشرق والجنوب فيشمل وسط الجزيرة وجنوبها .

(ب) والقسم الثانى : وهو العربية الحجرية كان يطلق على بلاد النبط ، أى الأراضى الجبلية والمرتفعات المتصلة بها فى شرقى البحر الميت وشرقى وادى عربة ممتدا إلى الخليج العربى المعروف باسم خليج العقبة ، كما كان يشمل أيضا شبه جزيرة سيناء . وقد ضم الرومان بلاد النبط بعد سقوط دولتهم سنة ١٠٦ م — إلى المقاطعة العربية الرومانية التى كانت تعرف باسم أربيابرو فنسيا ؛ أى المقاطعة العربية Arabia Provencia

والظاهر من كلام تيودوروس الصقلى أن هذه المقاطعة كانت فى شرقى أرض مصر وجنوبى البحر الميت (فى جنوبه الغربى) ، كما كانت فى شمال العربية السعيدة وغربها .

---

(١) راجع « تاريخ هيرودتس » (٤٨٠ — ٤٢٥ ق . م) .

(ج) والقسم الثالث، هو العربية الصحراوية، ولم يعين الكتاب اليونان والرومان حدودها تعيينا دقيقا ، ولكن المفهوم من كلامهم أنهم كانوا يقصدون بها بادية الشام الفاصلة بين الشام والعراق، ويكون نهر الفرات حدها الشرقى وكانت حدودها الشمالية وحدودها الغربية ، كانت تتبدل وتتغير حسب الأوضاع السياسية، ويمكن أن يقال إن حدودها هي، المناطق الصحراوية المجاورة للبلدان الزراعية فى الشام .

وفى شمالى هذه المنطقة وشمالها الشرقى كانت تقع مملكة تدمر التى كانت زينب أو الذباء من ملوكها .

الفصل الثاني

اسم العرب

اسم العرب(١) :

يرى بعض المستشرقين مثل موللر (D. H. Müller) أنه لا يمكن الجزم بتعيين الوقت الذى استعمل فيه لفظ العرب اسما لهذه الأمة التى يميزها عن غيرها من الأمم لعدم وجود نصوص مدونة تبين بجلاء أن العرب حضرهم وبدوهم كانوا يسمون أنفسهم عربا .

والنص الوحيد الذى لا يمكن الشك فى صحته هو القرآن الكريم ، فهو فى نظر هؤلاء المستشرقين أول نص عربى لا ترقى إليه الشكوك ولا تتعلق به الظنون ؛ فالقرآن الكريم يستعمل كلمة(العرب)على هذا الجنس من الناس ، ويرون من أجل ذلك أن الرسول — صلى الله عليه وسلم — هوأول من خصص هذه الكلمة بعد عمومها لأنها كانت فى نظرهم تطلق على كل من سكن البادية ، فجعلت علماً لقومية سكان شبه الجزيرة ، وهم يشكون فى صحة ما ورد فيه لفظ العرب علما على هذه القومية — فى الشعر الجاهلى وفى الأخبار المروية .

ولكن هذا الرأى ضعيف يبدو عليه طابع سوء الاستدلال وفساد المنطق ؛ إذ كيف تعقل مخاطبة القرآن الكريم قوما باسم يطلقه عليهم وهم لايعرفون هذا الاسم علماً لهم ولم يكن لهم به سابق علم ؟ وما الداعى إلى إطلاق التشكك فى كل ما روى عن الجاهلية بحجة أن شيئا من ذلك لم يصل إليناعن طريق التسجيل والتدوين ؟ ، وليس عدم التدوين مقتضيا لعدم مايمكن تدوينه ، وكيف ينتظر منهم تدوين ولم يكن عندهم شىء من أدوات التسجيل والتدوين إلا فى عهود سحيقة القدم ؟ وإنما كان الوصف الغالب عليهم فى الجاهلية القريبة من الاسلام هو الأمية .

ومخاطبة القرآن لهم بهذا الاسم من أرجح الشواهد على أنه كان معروفا لهم ومقررا عندهم .

---

(١) عن العرب وأصل تسميتهم ، أنظر جواد على ؛ « تاريخ العرب قبل الاسلام » ، ج ١ ص ١٦٩ وما يليها .

بقى أن ننظر هل هناك أدلة أخرى تؤيد ذلك وتعضده :

١ ـ فأقرب النصوص المدونة عهدا بالجاهلية مما ورد فيه هذا الاسم هو نقش النمارة الذى كشف فى مدفن إمرئ القيس بن عمرو ، وقد كتب شاهدا لقبر هذا الملك ؛ وهو أحد ملوك اللخميين ، وتاريخ تدوينه شهر كسلول من سنة ٢٢٣ بتقويم بصرى وهو يوافق شهر كانون الأول (ديسمبر) من سنة ٣٢٨ م. والنمارة كانت قطرا صغيرا للروم فى الحرة(١) الشرقية من جبل الدروز .

وكان امرؤ القيس هذا من ملوك الحيرة وانتشر نفوذه فى بادية الشام .

وجاء فى هذا النقش ما نصه(٢) :

١ ــ « تى نفس مر القيس برعمرو ملك العرب كله ذو أسرالتج .
٢ ــ وملك الأسدين ونزرو وملوكهم وهرب مذحجو عكدى وجا
٣ ــ بزجى فى حبج نجران مدينة شمر وملك معدو ونزل بنيه
٤ ــ الشعوب ووكلهن فرسولروم فلم يبلغ ملك مبلغه .
٥ ــ عكدى . هلك سنة ٢٢٣ يوم ٧ بكسلول بلسعد ذو ولده » .

ويلاحظ أن الكاتب بدأه فى السطر الأول بكلمة تى الإشارية التى للمؤنث لأنها داخلة على نفس ولعلها هنا بمعنى جسد ، وقد استخدم ذو بمعنى الذى ، وهى لغة طيء ، كما استخدم كلمة أسر بمعنى عصب وعقد ، وهو من معانيها فى المعاجم العربية ، وقد حذف الألف من كلمة « التاج » ، ولم يكونوا يثبتونها حينئذ . وليس فى هذا السطر كلمة غريبة سوى بر التى استخدمها الكاتب بمعنى ابن وهى آرامية . ونراه فى السطر الثانى يضيف واوا

---

(١) الحرة : هى الأرض السوداء .

(٢) انظر « العصر الجاهلى » د. شوقى ضيف (الطبعة الثانية ــ دار المعارف) ص / ٣٥ ، ٣٦ .

إلى نزرو ومذحجو وفقا لكتابة النبط التى تضيف إلىالاعلام الواو. أماعكدى فلعلها عكديا ، حذفت منها الألف ، وفى المعاجم العكد : القوة . ويريد بالأسدين قبيلتى أسد .

ونراه فى السطر الثالث يستخدم كلمة يزجى من فعل زجا بمعنى دفع أى باندفاع ، ومعنى حبج فىالمعاجم أشرف وكأنها استعملت فى النص مصدرا بمعنى مشارف أو حدود ، وشمر من الملوك الحميريين . واستخدم كلمة نزل بنيه الشعوب بمعنى جعلهم على الشعوب .

وفى السطر الرابع ووكلهن باضافة نون التوكيد إلى الفعل بعد الضمير ؛ ومعنى العبارة ووكله الفرس والروم .

وفى السطر الخامس بلسعد ذو ولده أى ليسعد الذى ولده ؛

وواضح أن النص يمثل طورا من أطوار اللغة العربية التى نزل بها القرآن الكريم ، فكلماته جميعا عربية ما عدا كلمة بر الآرامية ، وقد استخدمت فيه أل أداة للتعريف . وإذا أردنا أن نكتبه ونقربه إلى لغتنا اليوم كتبناه على هذا النحو :

١ — هذه نفس (قبر) امرئ القيس بن عمرو ملك العرب كلها الذى عقد التاج .

٢ — وملك قبيلتى أسد ونزار وملوكهم ، وشتت مذحجا بالقوة وجاء

٣ — باندفاع (بانتصار) فى مشارف نجران مدينة شمر . وملك معدا وولى بنيه .

٤ — الشعوب ، ووكله الفرس والروم ، فلم يبلغ ملك مبلغه .

٥ — فى القوة . هلك سنة ٢٢٣ يوم ٦ كسلول ، ليسعد الذى ولده .

فهذا النص مسجل قبل الاسلام بنحو ثلاثة قرون ، ويظهر منه إطلاق لفظ العرب على هذا الجنس من سكان الجزيرة جميعاً ، بمعنى أن امرأ القيس كان أعظم ملك عربي خضعت له جميع ملوك العرب الذين كانت لهم ممالك قريبة منه في شمال الجزيرة ، وإن لم يلزم من ذلك أنه بسط نفوذه على جميع بقاع الجزيرة وسكانها ، ولكن بعض المستشرقين ومن جاراهم تقيد بالواقع التاريخي فحدد لفظ العرب في هذا النص بسكان المناطق التي حكمها امرؤ القيس المذكور وأخرج بقية سكان الجزيرة من هذه التسمية ، وبناء على ذلك فسر لفظ العرب بالأعراب الرحل أي البدو ، ولكن هذا الاستنتاج ضعيف في مقام يفخر فيه الملك أو من خلد ذكره بسعة الملك وامتداد السلطان . وعلى ذلك فهذا النقش ينظر إلى العرب على أنهم أمة واحدة وجنس معين .

٢ — وهناك كتابات عربية جنوبية أقدم من هذا النص تؤيد ما ذكرناه وتطلق لفظ العرب على تلك القومية الخاصة التي تشمل أهل الوبر (أي البدو) والمدر (أي المدن أو الحضر) وجميع سكان شبه الجزيرة ، وإن كان اللفظ الوارد في تلك النصوص هو لفظ أعرب ، والظاهر أن أصله أعراب جمع عرب ، إلا أن الكتابة اليمنية لم تكتب الألف لأنها كانت تسقطها كثيرا . ومن مثل هذه النصوص ما ورد في :

« نقوش سامية قديمة من جنوب بلاد العرب » بقلم الدكتور خليل نامي من رقم ٧١ إلى رقم ٧٣ . وأعرب ملك حضرموت ، وأعرب ملك سبأ . كما ورد مثل ذلك في نص إبرهة نائب ملك الحبشة على اليمن (١) .

٣ — وجاء ذكر العرب في آداب اليونان القدماء ، وأول من ذكرهم بهذا الاسم منهم هو Aeshylus إيشيلوس (٥٢٥ — ٤٥٦ق.م) عند الإشارة إلى ضابط عربي أشتهر في جيش أحشويرش Xérxes . ولكن هذا الكاتب لم يكن يعرف شيئا عن بلاد العرب فتصور أن العربية قريبة من القفقاز (أي القوقاز) .

---

(١) انظر دائرة معارف الكتاب المقدس ص ٢٧٥ .

ثم تلاه هيرودوت (نحو سنة ٤٨٤ – ٤٢٥ق.م) ، وكان خيرا من سلفه فى معرفة بلاد العرب ، وهو يقصد من كلمة Arabia شبه جزيرة العرب كلها ، بل أدخل فيها أيضا جزءا من الأراضى المصرية التى تقع شرقى وادى النيل (١) .

ولكن Xenophon إكسينفون بعد ذلك بقليل (٤٣٠ – ٣٥٤ق.م) أطلق لفظ العرب باطلاق آخر ، فقصد من لفظ Arabaya عربايه منطقة تشمل جميع البادية الفاصلة بين العراق والشام مضافا إليها شبه جزيرة سيناء ، أى كل المنطقة الواقعة شمالى شبه الجزيرة أو شمالى العربية السعيدة .

فقد ذكر سيليفون أن ملك الفرس داريوس كان قد عين حاكما على فينيقيا والعربية ، وهو يقصد بالعربية : جنوب سوريا ، أى فلطسين والصحراء المتاخمة لها وصحراء بادية الشام .

٤ – وعرفت هذه المنطقة عند السوريان باسم Arab عرب منذ القرن الثالث للمسيح . كما كانوا يطلقون على القسم الشرقى منها الذى كان خاضعا لنفوذ الفرس اسم بيث عربايا Beth Arabaya أو باعربايا ، أى أرض العرب .

٥ – وربما كان أقدم نص ورد فيه اسم العرب هو نص آشورى يعود إلى شلمنصر آشور ، الذى ذكر فى حديثه عن معركة قرقر (٨٥٤ق.م) اسما لشيخ عربى يدعى جندب ، وهذا الاسم معروف فى العربية . ولكن كلمة عرب لم تكن تعنى عند الآشوريين فى ذلك العصر ما نفهمه نحن منها ، بل كانوا يطلقونها على مشيخة كانت تحكم فى البادية المتاخمة لحدود آشور حكما يتسع ويتقلص بتغير الظروف السياسية ، وبحسب قوة الشيخ الحاكم أو ضعفه . على أن ذلك لا يمنع من أن هذا الاسم كان يطلق على

---

(١) انظر المرجع السابق .

سكان الجزيرة كلهم ، وشعور جميع أهل الجزيرة بأنهم من هذا الجنس العربى . وإنما كان ملوك آشور يتحدثون عمن جاورهم من العرب .

وقد كثر بعد ذلك ورود كلمة العرب فى النصوص الآشورية وكثر فيها الحديث عن ماتوآرابى Matu. A-ra-bi أو ماتوأربى Matu. Ur-bi — وهذا الإصطلاح ورد كثيرا فى النقوش الآشورية .

وانتقلت هذه الصيغة إلى النصوص الفارسية القديمة وإلى اللغة الأخمينية ولغة أهل السوس فى الفرس القديمة ؛ أى فى فوفزتان (مكان العراق الآن) .

٦ — كذلك نجد لفظ عرب فى نصوص العهد القديم كما ورد فى الفصلة ٢ من الإصحاح الثالث من سفر ارميا : « فى الطرقات جلست لهم كعربى فى البرية » وكما فى الفصلة ٢ من الإصحاح التاسع عشر من سفر إشعيا : « ولا يخيم هناك عربى » وقد استعمل لفظ عربى فى هذين النصين بمعنى البدوى .

وورد فى الفصلة ١٥ من الإصحاح العاشر من سفر الملوك الأول :

« وكل ملوك بمعنى سكان السهول فى شمالى الجزيرة » .

كما ورد مثل ذلك فى الفصلة ٢٤ من الإصحاح ٢٥ من سفر إرميا أيضا :

« وكل ملوك العرب قسمان : حضريون وبدويون » .

كما جاء ما يشبه ذلك فى الفصلة ٢١ من الاصحاح ٢٧ من سفر حز قيال : « العرب وكل رؤساء قيدار هم تجار يديك والخطاب لمدينة صور » ويلاحظ هنا ذكر اسم قيدار وهو من آباء عدنان فى أنساب العرب .

وبعد نفى بنى إسرائيل ورد لفظ العرب فى النصوص العبرية بمعنى القبائل التى هاجرت إلى شرقى منخفض العربة والأردن . ومن هؤلاء النبط

كما جاء فى الفصلة ١٩ من الإصحاح الثانى من سفر نحميا : « ولما سمع سن بلط (اله القمر) .. « يحى الحورونى وطوبيا العبد وجشم العرب هزووا بنا واحتقرونا » . ومثل ذلك كثير .

فهذه نصوص قديمة يكثر مثلها وتدل كلها عن أن اسم العرب قديم فى الجزيرة وأطرافها وأن سكانها كانوا يحسون جميعا بانتمائهم إلى هذا الجنس وتميزهم بهذا الاسم ، بيد أن كثيرا من المستشرقين يفسرون هذا اللفظ بمعنى البداوة ويرون أن كلا من لفظ عربى وأعرابى معناه البدوى . ويقرنونها بالكلمة العربية « العرابة » بمعنى الصحراء ، وهى تقابل كلمة **ערב** فى اللغة العبرانية « البادية »(١) ويقولون إن أهل البادية فى الجزيرة كان يطلق عليهم عرب وأعراب بمعنى سكان الصحراء . وكانوا يتميزون بعضهم عن بعض بأسماء القبائل مثل مزجح وكندة وقيس وتميم وعبس وذبيان . وبأسماء المناطق مثل أهل نجد والحجاز واليمن . . وغير ذلك .

ولكن قبيل الاسلام فرق أهالى الجزيرة بين كلمتى عربى وأعرابى ، فأرادوا من الأولى الجنس كله أو سكان الحضر ، وأرادوا من الثانية المعنى الأصلى وهو البدوى الذى يخيم فى الصحراء . وعلى هذه التفرقة وردت الكلمات فى القرآن الكريم . وكان العبرانيون يسمون العرب « أهل المشرق » **בניהום** لأن مقامهم فى تلك البادية يقع شرقى فلسطين(٢) .

تسميات أخرى لسكان الجزيرة :

١ — وقد سمى أهل الجزيرة بأسماء أخرى منذ القدم وإن بقى بعضها مستعملا إلى اليوم — من ذلك لفظ Saracnus أو Saraceni (سراكينى) فى اليونانية واللاتينية . وكان يطلق فى البدء على القبائل العربية التى تقيم فى بادية الشام وفى شبه جزيرة سيناء ، ثم توسع فى مدلوله بعد الميلاد

---

(١) انظر « العرب قبل الاسلام » لجرجى زيدان (طبع دار الهلال — القاهرة) ص ٣٩

(٢) راجع جرجى زيدان « العرب قبل الاسلام » ص ٤٤

وخصوصا فى القرن الرابع والخامس والسادس الميلادى فأطلق على العرب عامة وأقدم من ذكر هذه التسمية هو ديوسقوريدس اليونانى فى منتصف القرن الأول للميلاد . وكثر استعمالها فى القرون الوسطى حيث أطلقه المسيحيون على جميع العرب وأحيانا على جميع المسلمين عربا كانوا أم غير عرب . واختلف فى تفسير هذا الاسم فمنهم من قال إنه مركب من كلمتين هما : سارى + قين ، ومعناه القينة سارة (أى العبدة سارة) إشارة إلى أن قسما كبيرا من العرب وهم الاسماعيليون ينتمون إلى هاجر جارية إبراهيم — عليه السلام — ولا سيما إذا كان بعض المؤرخين فى القرن الرابع الميلادى يطلقون هذا اللفظ على الإسماعيليين فقط ، وهم سلالة إسماعيل بن إبراهيم .

٢ — ويرى آخرون أن الكلمة مشتقة من مادة سرق العربية وأن سراكينى فى الأصل سراقين إشارة إلى أن العرب قوم غزاة يعتمدون على الغارات وما تجلبه من الغنائم فى حياتهم . على أن الظاهر أن مثل هذه التفسيرات صادرة عن سوء القصد وحب التشنيع .

٣ — وهناك من يرى أن الكلمة من مادة (شرق) بناء على أن العرب كانوا يسكنون شرقى أرض النبط أو شرقى مؤاب وعمون وفلسطين وخصوصا عرب بادية الشام الذين كان يطلق عليهم فى التوراة Bene qadem . (بنى قدم) أى بنو المشرق .

٤ — ويفسر آخرون هذا اللفظ بأنه تحريف بالنسبة إلى سراة ، والمراد أهل جبل السراة أى جبل الحجاز الفاصل بين تهامة ونجد .

٥ — وهناك أيضا لفظ Scenite سكنيت ، ويرد هذا اللفظ كثيرا فى الكتب الكلاسيكية (يونانية — وثنية) ، وأصل معناه سكان الخيام من الكلمة الإغريقية Scene سكانى ، أى خيمة . وكان يطلق هذا الاسم أيضا سكان بادية الشام وبلد والعراق وسكان شمالى العربية السعيدة .

٦ — وعرف العرب عند الإيرانيين منذ القدم باسم (طى) ، وظاهر أن هذا الاسم مأخوذ من كلمة طيء ؛ وهى القبيلة العربية المعروفة لأنها كانت تسكن قريبا من الايرانيين فى العراق ، واحتكت بهم كثيرا . ويرجع أول ذكر لها إلى القرن الثالث قبل الميلاد . كذلك أطلق الآراميون العصور النصرانية على العرب اسم : طايوبى Tayopy وهو مشتق من كلمة (طى) .

ومن هذه الكلمة أيضا أخذ العبرانيون كلمة (طيعة) التى أطلقوها منذ عهد التلمود على العرب ، ثم اشتقت من هذه الكلمة ألفاظا كثيرة فى لغات أسيوية مختلفة تطلق كلها بمعنى العرب مثل Tashik ، Tadgik Tazik ، Tazi ، فهذه الألفاظ تدل كلها أو بعضها على معنى العرب فى اللغات البهلوية والفارسية والأرمينية والصينية ، وإن كان لفظ Tashi (تشى) يطلق فى الصينية على سكان آسيا الوسطى الذين دخلوا فى الاسلام ، ثم أخذها الأتراك عنهم فأطلقوها على المسلمين فى وسط آسيا ، ولما كان أكثر مسلمى آسيا الوسطى من الإيرانيين صارت كلمة Tadgik (تاجيك) واللغة التركية بمعنى الإيرانيين .

الفصل الثالث

العصر الجاهلي

معنى لفظ الجاهلية وتحديد العصر الجاهلى(١) :

اعتاد المؤرخون تسمية تاريخ العرب قبل الاسلام باسم التاريخ الجاهلى أو تاريخ الجاهلية ، وقد فهم جمهور من الناس ومنهم طائفة من المستشرقين أن الجاهلية من الجهل الذى هو ضد العلم أو من الجهل بالله سبحانه وتعالى ورسوله وشرائع الدين ، ولذلك قالوا فى الانجليزية The time of Ignorance ولهذا السبب أطلق المسيحيون على العصور التى سبقت المسيح والمسيحية اسم « أيام الجاهلية » أو « زمان الجاهلية » . غير أن هذا المعنى لم يكن المقصود من هذه الكلمة وإنما المقصود هو « السفة »(٢) والطيش والحمق والغضب ، وهى أمور كانت جد واضحة فى حياة العرب قبل الاسلام أو بعبارة أدق فى العصر السابق له مباشرة وكل ما كان فيه من وثنية وأخلاق قوامها الحمية والأخذ بالثأر واقتراف ما حرمه الله وما نهى عنه الدين الحنيف . ويقابلها « الاسلام » وعماده الخضوع لله والانقياد له .

وقد وردت كلمة الجاهلية فى القرآن الكريم بهذا المعنى الأخير فى مواضع عديدة . فجاء فى سورة الفرقان : « وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا ، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما » .

وفى سورة البقرة : « قالوا أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين » . وفى سورة الأعراف : « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » .

---

(١) راجع (العصر الجاهلى) للدكتور شوقى ضيف (ط ٢ — دار المعارف) ص ٣٨ ، ٣٩ .

(٢) انظر مادة (جاهلية) فى دائرة المعارف الاسلامية .

وفى الحديث الشريف أن الرسول — صلى الله عليه وسلم — قال لأبى ذر وقد عير رجلا بأمه : « إنك امرؤ فيك جاهلية » . وجاء أيضا فى الحديث الشريف : « إذا كان أحدكم صائما فلا يرفث ولايجهل » .

وبهذا المعنى تقريبا جاء فى معلقة عمرو بن كلثوم التغلبى :

ألا لايجهلن أحد علينا   فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وقد اختلف المفسرون فى المراد من الجاهلية الأولى فى قوله تعالى : « وقرن فى بيوتكن ولاتبرجن تبرج الجاهلية الأولى » فقيل . الجاهلية الأولى هى التى ولد فيها إبراهيم الخليل — عليه السلام — والجاهلية الأخرى هى ال ولد فيها محمد — عليه السلام — . وقيل الجاهلية الأولى هى الفترة الواقعة بين عيسى ومحمد — عليهما السلام .

ومن هنا ظهرت النظرية التى تقول بوجود جاهليتين : جاهلية أولى وجاهلية ثانية . ثم اختلف بعد ذلك فى تحديد زمن كل من الجاهليتين غير أن الذى يفهم من كتب الحديث أن أصحاب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — كانوا يفهمون من « الجاهلية » الزمن الذى عاشوا فيه قبل الاسلام وقبل نزول الوحى فكانوا يسألون الرسول عن أحكامها وعن موقفهم منها بعد اسلامهم ، وعن العهود التى قطعوها على أنفسهم فى ذلك الوقت .

وقد أقر الرسول بعضها ونهى عن بعضها الآخر . وهذا يدل على أن هذا المعنى كان قد تخصص منذ ذلك الحين وأصبح للفظة « الجاهلية » مدلول خاص فى عهد الرسول .

وأعتقد أن عاملا لغويا كان له تأثيره فى هذا التقسيم ، فالباحثون فى الأدب الجاهلى لايتسعون فى الزمن هذا الاتساع ، إذ لا يتغلغلون به إلى ماوراء قرن ونصف من البعثة النبوية ، بل يكتفون بهذه الحقبة الزمنية وهى الحقبة التى تكاملت للغة العربية منذ أوائلها خصائصها ، والتى جاءنا عنها

الشعر الجاهلى. ولاحظ ذلك الجاحظ بوضوح إذ قال : « أما الشعر (العربى) فحديث الميلاد صغير السن ، أول من نهج سبيله وسهل الطريق إليه امرؤ القيس بن حجر ومهلهل بن ربيعه . . فاذا استظهرنا الشعر وجدنا له — إلى أن جاء الله بالاسلام — خمسين ومائه عام ، وإذا استظهرنا بغاية الاستظهار فمائتى عام »[1] وهى ملاحظة دقيقة ، لأن ماقبل هذا التاريخ فى الشعر العربى مجهول . وهذا ماذهب إليه ابن خالويه أيضا فى أن هذه اللفظة أطلقت فى الاسلام على الزمن الذى كان قبل البعثة النبوية .

مصادر العصر الجاهلى التاريخية

تاريخ العرب فى مراجعنا الاسلامية هو أضعف قسم كتبه المؤرخون العرب إذ يعوزه التحقيق والتدقيق والغربلة ، وأكثر ماذكروه على أنه تاريخ هذه الحقبة هو أساطير وقصص شعبي وأخبار وردت عن أهل الكتاب ، ولاسيما اليهود، وأشياء وضعت فى الاسلام لمآرب اقتضتها العواطف والمؤثرات الخاصة .

وقد تداول العلماء هذه الأخبار على أنها تاريخ للجاهلية حتى القرن التاسع عشر ، ثم بدأت تخضع هذه المادة التاريخية لطرق البحث الحديثة ، فيشك العلماء فى أكثرها ، وبدأوا يسلكون بمناهجهم طريقا آخر .

وكان أهم عمل قام به المستشرقون هو البحث عن الكتابات العربية التى دونها العرب قبل الاسلام ، وقد بذلوا فى سبيل ذلك المال والوقت والنفس ، إذ لم يكن من السهل للأوربيين التجول فى أنحاء الجزيرة العربية بأزياء مختلفة للحصول على معلومات عن الخرائب والعاديات .

---

[1] الحيوان للجاحظ (طبعة الحلبى) ج ١ — ص ٧٤ .

ولم يكتف العلماء ، بل لم يطمئنوا إلى هذا المروى فى الكتب العربية ، بل رجعوا إلى مصادر أخرى . ويمكن تلخيص أنواع مصادر التاريخ الجاهلى فيما يأتى :

١ — المصادر العربية الإسلامية .

٢ — المصاد غير العربية .

٣ — النقوش والكتابات الأثرية .

أولا — المصادر العربية الإسلامية

يمكن تقسيم الأخبار التى جاءت فى الكتب الاسلامية إلى قسمين :

قسم يتناول الأخبار التى وردت عن الجاهلية الأولى ، والقسم الثانى يتناول الأخبار التى وردت عن الجاهلية الثانية . والقسم الأول مجموعة من الأساطير والقصص أخذت من منابع مختلفة لاتصلح أن تكون مادة تاريخية ، ولتدوين هذا القسم لابد من الرجوع إلى المصادر الأخرى وخاصة النقوش .

أما القسم الثانى : وهو الأخبار القريبة من الإسلام فيمكن أخذها من المصادر الإسلامية ، لأن الذاكرة العربية قد وعت هذه الأخبار لقرب عهدها وحافظت على صورتها الأصلية تقريبا حتى تناولتها أقلام المؤلفين فى العصر الأموى والعباسى الأول فدونوها فى الكتب .

١ — القرآن الكريم :

هو أول نص عربى إسلامى مدون يمكن أن نتصور منه حالة الجاهلية الثانية . ومعروف أن القرآن دون فى عصر الرسول ، وتم التدوين فى عصر الخليفة الثالث عثمان بن عفان . وأهمية القرآن تكمن فى أنه مصدر معاصر لاتشوبه شائبة ولايرقى إلى صحة نصه أى شك . فهو انعكاس للبيئة التى نشأ فيها الاسلام : سياسية واقتصادية واجتماعية ، ونجد القرآن يكشف عن علاقات

العرب بالأحباش والفرس والروم . والقصص فى القرآن تشير إلى شعوب قديمة مثل عاد وثمود ، أثبت الكشف الحديث أنها صحيحة ومضبوطة إلى حد كبير . ومن ثم فالقرآن مرآة صافية للعصر الجاهلى ، وهو كتاب صدق لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ولقد قال فيه على بن أبي طالب : « فيه خبر ماقبلكم ، ونبأ مابعدكم ، وحكم مابينكم » .

وقال تعالى « لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد »(١) .

٢ ــ الحديث الشريف :

وأهمية هذا المصدر ترجع إلى تدوين الروايات الشفوية فى الاسلام ، وإلى أن المسلمين اتخذوا عدة مصطلحات منها خاصة فى ضبط الحديث ، ودراسته ، وفى روايته ، حتى يكون لهذا الحديث المنسوب إلى الرسول سمة الصدق .

وكتب الحديث وشروحها مورد غنى من الموارد التى لابد منها لتدوين أخبار الجاهلية القريبة من الاسلام .

والصورة التى رسمتها كتب الحديث للجاهلية تبين أن شبه جزيرة العرب كان لها اتصال بالعالم الخارجى قبل الاسلام ، وعلى علم بما كان يجرى فى السياسة العالمية ، وكان فيها أحزاب وشيع تتحزب للفرس والروم ، وكانت تعرف الأسواق العالمية وتسير قوافلها وتجارتها إليها ، وفيها أن الرسول كتب إلى الملوك والأمراء يدعوهم إلى رسالة الاسلام ، وأنه أمر المؤمنين بالهجرة إلى الحبشة ، وأنه جادل اليهود والنصارى والوثنيين جدالا دل على علم هؤلاء بالديانات وعلى أن لهم منطقا وفهما .

---

(١) سورة فصلت ــ الآية (٤١) .

٣ — كتب تفسير القرآن :

وتفسير القرآن الكريم مصدر من المصادر المساعدة لمعرفة تاريخ العرب قبل الاسلام ، فإنها تحكى عما سمعه العرب عن القبائل البائدة . والمفسرون وهم يشرحون ماأجمله القرآن الكريم يضطرون إلى الاطلاع على الأدب النصرانى والساسانى فى مصادرهما القديمة ، وكان ذلك نقطة البدء التى تسربت عن طريقها هذه المعرفة القديمة إلى أدبنا العربى وثقافتنا الاسلامية .

٤ — الشعر القديم :

والشعر القديم ، وهو ديوان العرب ، كما يقول الجاحظ ، يعرض لأيام العرب وحروبهم وأنسابهم وقبائلهم وعقائدهم وعاداتهم وتقاليدهم ، ولذلك فهو يعتبر مصدرا حيا وهاما .

ولقد تباينت المذاهب نحو الشعر العربى القديم مابين منكر وشاك .

ولقد دفع هذا الجدل الدكتور . ناصر الدين الأسد (١) إلى أن يتخذ منهجا جديدا فى دراسة الشعر الجاهلى ، فهو يرى أن الشعر العربى بشكله الموزون المقفى كان سببا فى سهولة الرواية الشفوية ، وساعد إلى حد كبير على حفظه دون أن يداخله الزخرف والتزويق . والشعر العربى إلى جانب ذلك هو ديوان العرب ، وسجل تاريخهم ، وجامع شملهم ، وهو المرجع الذى لاغنى عنه لإعطاء صورة صادقة لمشاعرهم العربية وألوان حياتهم الاجتماعية وتجاوبهم مع البيئة ، وشعر المخضرمين من أمثال كعب بن زهير وحسان بن ثابت والخنساء وغيرهم يقف فى الأهمية الأولى لأنه يعطينا صورة للانفعالات الجديدة التى ظهرت مع انبلاج نور الاسلام فى مكة المكرمة مباءة الرسالة ومهبط الوحى والالهام .

---

(١) راجع « مصادر الشعر الجاهلى وقيمتها التاريخية » د. ناصرالدين الأسد (ط / دار المعارف) سنة ١٩٦٢ بالقاهرة .

٥ ـــ المؤرخون المسلمون :

لايتجاوز ماذكره المؤرخون والإخباريون ورجال الأدب عن العصر الجاهلى القرن الخامس الميلادى على أكثر تقدير ، وأما ماروى على أنه قبل ذلك ، فكله قصص شعبى أو قصص متأثر بالتوراة .

فهذا حديثهم عن العرب البائدة ، كله من نسج الخيال ، فالإخباريون مثلا يتحدثون عن عاد وثمود وطسم وجديس ، والمبانى العادية ومن بناها من جن سليمان . . إلى غير ذلك من الأخبار التى تعد أقرب إلى القصص منها إلى التاريخ ، أو أقرب إلى الأدب منها إلى التاريخ ، فهى تعنى بالشعر عنايتها بالنثر ، ولاتعنى بالحقيقة التاريخية بقدر ماتعنى بالتشويق والتهويل .

أما أخبار القبائل والإمارات العربية الشمالية مثل المناذرة والغساسنة وعرب تدمر فهو أقرب إلى التاريخ والواقع من أخبار عرب شبه الجزيرة واليمن ، ومرجع ذلك إلى أنهم كانوا يدونون أخبارهم وإلى اهتمام المؤرخين الأعاجم بهذه الأخبار مثل السريان واليونان والرومان والفرس ، ووقوف الرواة عليها ، ثم لقرب عهدهم من الاسلام .

وقد كان فى طليعة من اشتغل برواية أخبار ماقبل الاسلام :

عبيد بن شرية ، ووهب بن منبه ، ومحمد بن السائب الكلبى ، وابنه أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبى ، وأبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف الهمدانى .

وعبيد بن شرية الجرهمى (١) : من أهل اليمن القدماء ، وعاش فى عصر معاوية بن أبى سفيان . وعرف برواية القصص وكتابة أخبار الملوك وأخبار الماضيين وأشهر كتب عبيد كتاب « الأمثال » وكتاب « الملوك وأخبار الماضيين » وقد طبع فى ذيل كتاب « التيجان فى ملوك حمير » بعنوان : « أخبار عبيد بن شرية الجرهمى فى أخبار اليمن وأشعارها وأنسابها » . وقد

---

(١) راجع « أخبار عبيد بن شرية » ـــ طبع الهند بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية فى الهند ببلدة حيدر أباد الدكن سنة ١٣٤٧ .

وضع الكتاب على الطريقة التى تروى بها أيام العرب ، وفيه أشعار كثيرة وضعت على لسان عاد وثمود ولقمان وطسم وجديس والتبابعة ، وفيه قصص اسرائيلى وشعبى يمثل فى جملته السذاجة وضعف ملكة النقد ومبلغ علم الناس فى ذلك الوقت بأخبار الأوائل .

أما وهب بن منبه : فقد كان يمنيا ، واحتل مكانة عظيمة فى الثقافة اليهودية ، فقد كان يهوديا ثم أسلم ، وعن طريقه دخل اليهود إلى أدبنا ــ الإسلامى ، وفوق هذا كان يعرف اللغة الإغريقية القديمة بدليل أن الحكومة الإغريقية استعانت به فى تفسير نقش حصلت عليه مكتوبا بالإغريقية لم يستطع أى عالم سواه أن يفسره . وكان دائما يقرأ التوارة ، ويبدو أن ذلك الرجل استمد كثيرا من المعرفة النصرانية التى تجلت فى روايته عن نصارى نجران . ويعد كتاب « التيجان »[1] من أهم الكتب التى ألفها وهب بن منبه .

ومن الكتب المنسوبة إلى وهب بن منبه كتاب « الملوك المتوجة من حمير وأخبارهم وقصصهم وقبورهم وأشعارهم » ، وهو خليط من القصص الشعبى اليمانى والإسرائيليات . ومن مؤرخى الأخبار الخاصة باليمن : أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف الهمدانى :

وقد بذل هذا العالم مجهودا فى تأليف كتبه ، فجاء بمعلومات ساعدت كثيرا فى ضبط تاريخ اليمن القديم .

وقد جاء فى كتابه « الإكليل » [2] مايدل على أنه كان على علم بالخط المسند ، وأنه كان يقرؤه ، وقد أفادت القصيدة الحميرية لصاحبها نشوان بن سعيد الحميرى (المتوفى سنة ٥٧٣ هـ) فائدة لابأس بها فى تدوين تاريخ اليمن القديم ، ولهذا المؤلف معجم سماه « شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم » ضمنه ألفاظا خاصة بعرب الجنوب .

---

(١) راجع « التيجان » لوهب بن منبه ــ طبع الهند .

(٢) راجع الجزء الأول من الاكليل . مصور بالزنكوغراف وطبع شطر منه فى أوربا .

ــ الجزء الثانى من الاكليل مصور بالزنكوغراف ــ الجزء الثامن من الاكليل ــ طبع الكرملى .

ــ الجزء العاشر من الاكليل . طبع المطبعة السلفية بالقاهرة سنة ١٣٦٨

هشام بن محمد بن السائب الكلبى : وهذا الرجل يمثل لنا نهاية العهد القديم وبداية العهد الجديد فى التاريخ ويتجلى ذلك فى أنه استطاع أن يتخلص — إلى حدما — من الطابع القصصى والأسطورى ، فهو يميل فى سرده التاريخى إلى نوع من الحقيقة التاريخية الصادقة ، فمثلا نراه يقرأ آثار المناذرة القدماء ويطلع على كتب كانت موجودة فى الحقيقة مثل كتاب : عنوان النهضة التاريخية الاسلامية. وكتابه « الأصنام » أهم دراسة فى ديانة العرب قبل الاسلام ، فقد عرض فيه للأصنام ومدلولها اللغوى . ومن هنا فالكلبى يمثل لنا — لأول مرة — تخلص التاريخ الاسلامى من النزعة الأدبية اللغوية التى كانت غالبة عليه .

مؤرخو القرن الثالث الهجرى :

هؤلاء علماء جعلوا النهضة التاريخية الاسلامية كعلم مستقل بين منابع المعرفة . مثل ماكان العصر السابق يمثل تخلص التاريخ من الأسطورة ومن اللغة والنحو والأدب . ومؤرخو هذا القرن تأثروا بمنهج المحدثين وهو العناية بحفظ الرواية . وكل هذه الصفات تتمثل فى :

ابن هشام : صاحب « السيرة النبوية » (١) : وقد قسم السيرة النبوية إلى :

(أ) البداية : وفيها يؤرخ ابن هشام للعصر السابق للبعثة النبوية .

(ب) المغازى : وهى الحروب التى تمت فى عهد الرسول عليه الصلاة والسلام . ومن المؤرخين الذين تعرضوا للمغازى ابن قتيبة (توفى سنة ٢٧٦ هـ) فى كتابه « المعارف » (٢) ، واليعقوبى فى كتابه المعروف ب « تاريخ اليعقوبى » (٣) (توفى سنة ٢٧٧ هـ) .

---

(١) راجع « الروض الآنف » شرح على سيرة ابن هشام . طبع مصر سنة ١٩١٤ م ، السيرة النبوية — ٣ أجزاء (ط بولاق ١٢٩٥ هـ) .

(٢) المعارف — لابن قتيبة (مصر سنة ١٣٠٠ هـ) .

(٣) تاريخ اليعقوبى — لابن واضح اليعقوبى (ليدن ١٣٨٣) .

مؤرخو القرن الرابع الهجرى :

وهؤلاء يمثلون المرحلة الأخيرة من مراحل التطور التاريخى ، ففى القرن الرابع الهجرى اكتمل التطور التاريخى ، وتم التخصص التاريخى ، وتخلص التاريخ من علم اللغة وعلم الحديث ، واستطاع الكتاب المسلمون أن يستفيدوا من حركة الترجمة خصوصا فى العصر العباسى حينما ترجمت بعض الحوليات (أى الكتب القديمة) ، وبعض الكتب الأخرى وبخاصة الفارسية .

وأهم مظاهر هذه المرحلة : تنوع الكتب الاسلامية ، فظهرت الحوليات وكتب التاريخ المحلى وكتب الطبقات . وأهم مؤرخى هذه الحقبة الزمنية :

(ا) الطبرى (١) : (المتوفى سنة ٣١٠ هـ) ، وقد اطلع على الكتب الفارسية القديمة ، ومسحة الصدق بادية على ماكتبه عن تاريخ الفرس والمناذرة ، لدرجة أن المستشرقين ترجموا مكتبة ابن جرير الطبرى إلى اللغة الفرنسية .

(ب) المسعودى : (المتوفى سنة ٣٤٦ هـ) ، وهو يحتل مكانة عظيمة فى الدراسات التاريخية ، فهو يعتبر بحق رائد الكتاب الذين كتبوا فى فلسفة التاريخ ، هذه الفلسفة التى ازدهرت فى كتابات ابن خلدون التاريخية . ومحاولة المسعودى تتلخص فى أنه خلص التاريخ من قيود الزمان والمكان . فكتب كتابه المسمى « مروج الذهب » (٢) ، وفى الجزء الأول من هذا الكتاب يتحدث المسعودى عن تاريخ العرب قبل الاسلام فتتجلى فيما يكتبه تعاليم المدرسة الجديدة من الاستنباط واستخدام المنطق .

(ج) ابن عبد ربه (٣) المتوفى سنة ٣٢٨ هـ : وكتابه يسمى « العقد الفريد » ، وقد عرض فيه لبعض نواحى الحياة العربية القديمة .

---

(١) تاريخ الطبرى (تاريخ الرسل والملوك) لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى — تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم (القاهرة — دار المعارف ١٩٦٠ — سلسلة ذخائر العرب رقم ٣٠) .

(٢) راجع «مروج الذهب» جزءان — للمسعودى (مصر سنة ١٣٠٤هـ) .

(٣) راجع العقد الفريد — تأليف أبى عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسى (الطبعة الثانية — مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٤٨ بالقاهرة) .

(د) أبو الفرج الأصفهانى (المتوفى سنة ٣٥٦ هـ) صاحب كتاب « الأغانى »(١) ، وبلغ من أهمية هذا الكتاب فى دراسة الترا القديم أن المستشرق المعروف دى برسفال إعتمد عليه فى كتابه المسمى « تاريخ العصر الجاهلى » (٢) .

(هـ) الهمدانى : (المتوفى سنة ٣٣٤ هـ) وهو من أهم المؤرخين من أبناء هذه المدرسة التاريخية . وتسميته بالهمدانى نسبة إلى قبيلة همدان ، وهى قبيلة عربية جنوبية . وهذا الرجل تأثر بالحركة الشعوبية ودافع عن بنى قومه العرب خصوصا عن أهله من اليمن ، فزار بلاد اليمن فى عصره ووصف الوقائع والبلاد والآثار التى لاتزال أغلبها إلى اليوم ، وهذا الرجل كان يعرف الخط الحميرى القديم ، وقرأ بعض النصوص الحميرية وترجمها إلى العربية ، وفى رواية أنه أضاف إلى المكتبة العربية ثروة تذكر له بالحمد والثناء ؛ وقد ظهر هذا كله فى كتابه المسمى « الإكليل فى تاريخ حمير » (٣) ، وأهم أجزائه هو الجزء التاسع الذى عرض فيه لعادات الحميريين وتقاليدهم عرضا وفقا لدرجة كبيرة من الصحة والصواب .

وكتاب الهمدانى الثانى المسمى « صفة جزيرة العرب » هو فى واقع الأمر كتاب جغرافى ، ويمكن القول بأنه جغرافى تاريخى إسلامى ، يرض للمدن وتاريخها القديم ، ويسلسله حتى عصر الإسلام ؛

وخلاصة ما يقال عن المؤرخين المسلمين الذين دونوا التاريخ الجاهلى أنهم بدلا من أن ينصرفوا إلى مراجعة الموارد القديمة وتتبع الكتابات

---

(١) الأغانى ــ لأبى الفرج الاصفهانى (منشورات دار الثقافة ــ ببيروت؛ طبعة بولاق ١٢٨٠ هـ) .

(٢) coussin de Perceval, Essai sur L'histoire arabes L'islamisme.
فى ثلاث مجلدات ، وقد جمع فيه معظم ما فى الكتب العربية عن العرب قبل الاسلام . وأضاف اليه ما ظهر الى أيامه من نتائج أبحاث المستشرقين والباحثين الأوربيين ، وقد أعيد طبع هذا الكتاب سنة ١٩٢٠ مع تعليقات ضافية لم تغير من صلب الكتاب شيئا .

(٣) كتاب الاكليل فى عشرة أجزاء ، لم يصل الينا منها سوى الأجزاء الثامن والعاشر وقد طبعا منذ سنوات ، والأول والثانى وهما يعدان للطبع .

وتدوين تاريخ عام للعرب مرتبط الأجزاء — انصرفوا إلى رواية أنساب القبائل ووصلها بعدنان وقحطان حينا وإسماعيل وأبناء نوح حينا آخر ، وترديد ما فى التوراة فى هذا الباب ، وتقسيم العرب إلى طبقات فى مقدمتها طبقة عاد وثمود وجرهم وأميم وعبيل وغير ذلك من قبائل ورد اسم بعضها فى القرآن الكريم . وقد دعا هذا المفسرين والاخباريين إلى جمع ما كان يتحدث الناس به عنهم ، واللجوء إلى أهل الكتاب لأخذ ماورد فى كتبهم عن هؤلاء الأقوام :

إن الطابع العام الغالب على المدون فى الكتب العربية على أنه تاريخ الجاهليين هو الصبغة الأدبية لا الصبغة التاريخية التى تعتمد على النقد والتحليل إلى حد كبير ، لذلك يكثر فيه التنميق والتذويق على طريقة القصص وأحاديث مجالس السمر .

وقد كان لتأخر العهد بجمع المادة فى القرنين الثانى والثالث للهجرة وما بعدها أثر فى ضياع جزء كبير منها بسبب موت الرواة الذين كانوا يعرفونها ، وكانوا قريبى عهد بها ، فلما تنبه العلماء إلى ضرورة تدوين هذا التاريخ وجدوا مشقة فى جمعه ، وكانت الحوادث قد سبقتهم إلى طمس كثير من أخبار الجاهلية فاضطروا لسد هذه الثغرة إلى أن يسألوا الأعراب ويبحثوا فى الشعر القديم ، وراجعوا السمار والقصاص والمعمرين اللغويين ، ورواة أيام القبائل الذين كانت تدفعهم عصبياتهم للقبيلة إلى حفظ أيامها وأخبارها وإضافة المفاخر إليها ، والانتقاص من شأن القبائل المعادية لها . ومن هذه المواد تجمعت مادة التاريخ الجاهلى عند المسلمين . يضاف إليها ما حصل عليه الإخباريون بتتبعهم الشخصى كمحمد بن السائب الكلبى وابنه هشام ووهب بن منبه وأضرابهم :

ثانيا — المصادر غير العربية

(١) المصادر الإغريقية (١) :

معروف أن الثقافة الإغريقية تمتاز بطابع منطقى استقرائى مبنى على التجربة والمشاهدة ، ويتجلى ذلك الطابع فى التاريخ الأغريقى وخاصة الذى كتب عن العرب القدامى :

وقد استمد المؤرخون الإغريق هذه المعرفة عن العرب القدماء من المصادر الآتية :

(أ) استمدوها من الجنود الإغريق الذين اشتركوا فى الحملات الإغريقية ، إذ كان من عادة الإغريق أن يكتبوا مذكرات شخصية للأحداث التى تقع لهم .

(ب) كما اعتمدوا على الرحالة الإغريق الذين دفعهم حب الاستطلاع إلى زيارة الشرق الغريب الفريد بطابعه وتاريخه وطباعه وحياته .

(ج) وفوق هذا استمدوا معارف كثيرة جدا من التجار ، إذ كانت التجارة الإغريقية من أنشط ما يكون وخاصة مع أسواق اليمن ، وفى الفن اليمنى القديم علامات إغريقية واضحة أساسها تلك الصلة القديمة .

وقد كانت مدينة الإسكندرية منبع المعرفة العربية القديمة ، وكان التجار الإغريق يتحدثون عن تجاربهم ومشاهداتهم بها .

كل هذه المعلومات ظهرت فى كتب إغريقية ترجمت جميعا إلى الأنجليزية وهذه الكتب تعتبر — فوق المراجع العربية — كمصدر مهم جدا من مصادر المعرفة العربية القديمة — وأهمها الكتب الآتية :

١ — تاريخ هيرودتس (٤٨٠ — ٤٢٥ ق . م) الرحالة اليونانى أبى التاريخ ، وقد جاء ذكر العرب فيه عرضا فى أثناء الكلام عن الحروب بين الفرس والمصريين على عهد قمبيز فى القرن السادس قبل الميلاد .

---

(١) راجع « العرب قبل الاسلام » جرجى زيدان — ص ٢٦ ، ٢٧

وكتاب هيرودوت يمثل الطابع الإستقرائى الأغريقى ، فقد قام برحلة إلى مصر والشرق ، ودون ما شاهده ، فهو صاحب فكرة تقسيم بلاد العرب تقسيما جغرافيا يعتمد عليه حتى اليوم ، فقد قسم بلاد العرب إلى ثلاثة أقسام :

- بلاد العرب السعيدة . Arabia Felix
- بلاد العرب الصخرية . Arabia Petreae
- بلاد العرب الصحراوية . Arabia Deserta

٢ — ثيوفراست (٢٨٧ — ٢٢٥ ق . م) — وأهميته تأتى من أنه عاصر أحداثا كان لها أثر عظيم فى تاريخ الشرق بل فى تاريخ العالم ، فقد عاصر الفتح المقدونى وتدفق الحضارة الإغريقية « الهلينية » إلى الشرق القديم ، وامتزاج الحضارتين . كما عاصر أيضا — ولأول مرة فى تاريخ الشرق — ممالك إغريقية شرقية مثل دولة البطالمة فى مصر ، السلاجقة فى الشام . ورأى كذلك بداية الاهتمام بتجارة الهند ، وسعى الإغريق إلى أسواق الشرق الأقصى ، وقد كان هذا السعى وذلك التطلع بمثابة الدق لأول مسمار فى نعش الدول العربية الجنوبية ، لأنه أدى إلى تحول طرق التجارة إلى أسواق الغرب مما ترتب عليه اضمحلال فى السياسة والاقتصاد .

٣ — تيودور الصقلى : (٤٠ ق . م) — وقد جمع هذا الرجل كل الكتب التى سبقت عصره وتحدثت عن الشرق القديم ، ونقل ما جمعه فى كتاب عظيم ترجم إلى اللغة الانجليزية ويسمى « المكتبة التاريخية » .

٤ — سترابون : وفى أوائل النصرانية نبغ مؤلف يونانى هو سترابون الرحالة (المتوفى سنة ٢٤ م والمولود سنة ٦٤ ق . م) — فأفرد للعرب فصلا خاصا فى الكتاب السادس عشر من مؤلفه الجغرافى ، ذكر فيه مدائن العرب

وقبائلهم على عهده، ووصف كثيرا من أحوالهم التجارية والاجتماعية وحملة اليوس جالوس الشهيرة لفتح جزيرة العرب وما كان من فشله نحو أربعين صفحة .

ومن مؤرخي اليونان أيضا أراتوستينس وأغاثارسيدس وبروسوس ، وكلهم من مؤرخي اليونان وجغرافييهم قبل الميلاد .

(٢) المصادر المسيحية :

وأهمية المصادر المسيحية أنها تناولت موضوع انتشار المسيحية فى بلاد العرب ، فى الحيرة وفى بادية العراق ، وفى بادية الشام عند الغساسنة ، وتدفق المسيحية إلى بلاد اليمن وخاصة مدينة نجران . ومعروف أن بعض القبائل النصرانية مثل تغلب كان لها دور كبير فى الحياة العربية القديمة . وفوق هذا فإن هذه المصادر تعطينا صورة طيبة للعلاقات بين العرب من ناحية وبين البيزنطيين والأحباش من ناحية أخرى . غير أن أهم ميزة لهذه المصادر هى أنها ربطت الأحداث العربية بالتقويمات العربية ووضعت لكل حدث تاريخا معينا يساعدنا على ضبط هذه التواريخ، ويساعدنا على تحقيقها تحقيقا يقينيا .

وهذا النوع من المصادر يتمثل فى كتابين إثنين يعتبران من أهم الكتب فى تاريخ العرب القديم :

١ — يوزبيوس : فى القرن الثالث والرابع الميلاديين ، وقد أرخ لبداية المسيحية فى الشرق ، وخاصة المسيحية فى بلاد العرب ، وكتب عن العلاقات الأولى بين المسيحيين الجدد وبين الدولة البيزنطية أو الدولة الرومانية ، كما أنه أعطانا صورة للمسحيين فى بلاد الحيرة وللأديرة النصرانية هناك ، وكذلك بادية الشام .

٢ — شمعون الأرشامى: وهو مبشر بالمسيحية . ومن حسن الحظ أنه كتب مذكرات موجودة بين أيدينا حتى اليوم عن قصص المسيحية فى بلاد اليمن ؛ كحادث الأخدود ، وعما إرتكبه ذ ونواس اليمنى من قتل للمسيحيين .

ويخيل إلينا أن المبشرين المسلمين قرأوه واستقوا منه بعض المعلومات . وقد ترجم كتابه للايطالية عام ١٨٨٠ م ، ثم ترجم إلى الانجليزية ، وقد نهض بتلك الترجمة مستشرق معروف يدعى جويدى وشفع هذه الترجمة بتاريخ الانتشار المسيحى فى نجران .

(٣) المصادر اليهودية :

يمكننا أن نقسمها إلى ثلاثة أقسام :

(أ) التوراة (العهد القديم) .

(ب) التلمود (التفاسير اليهودية) .

(ج) ماكتبه المؤرخون القدامى الذين تهودوا .

(أ) التوراة : وهى الكتاب المقدس لليهود ، وهذا الكتاب لم ينزل على موسى (العهد القديم) وحده إنما ينسب إلى موسى الجزء الاول منه فقط ثم تعاقب الانبياء بعد موسى على التوراة ، وظلت عملية كتابة التوراة مدة طويلة حتى القرن الثانى قبل الميلاد ، وبعضها كتب فى فلسطين والبعض الآخر فى بابل بعد أن أسر اليهود وأقاموا فى بلاد العراق . ومؤرخو هذا الكتاب يميزون بين أقدم الفصول وبين أهدافها ، فمثلا يقولون إن سفر موسى كتب سنة ٧٥٠ قبل الميلاد وكتب فى فلسطين ، وأن سفر المزامير وهو آخر الأسفار كتب فى القرن الثانى قبل الميلاد .

فالتوراة على هذه الصورة مرجع هام فى دراسة التاريخ العربى القديم لأن هذا الكتاب عرض لأخبار اليمن القديمة وعرض أيضا لأخبار بعض القبائل العربية القديمة .

وفى مطلع العصر الحديث ظهرت فى أوربا عادة المقارنة بين الكتب السماوية والكشوف العلمية الحديثة ، أعنى دراسة هذه الكتب دراسة علمية مقارنة ؛ فقام أحد الباحثين بالمقارنة بين ماورد فى التوراة وبين الكشوف

الأثرية فى بلاد العرب القديمة ، وتبين من البحث والمقارنة أن الأخبار التى وردت فى هذه الكتب السماوية صحيحة . وقد ألف فى هذا الموضوع كتاب عنوانه « أخبار العرب من الكتب المقدسة » .

وتعرض التوراة لأخبار العرب القدامى تعرضا عاديا جدا ناشئ عن العلاقة القديمة فى الناحية التجارية بين سبأ وغيرها من الدول المجاورة . ومعروف أن السبئيين من أعظم تجار العالم القديم فى القرن العاشر قبل الميلاد . ولقد ذهب المغامرون والتجار من أهل سبأ إلى أسواق فلسطين ، وكذلك فعل اليهود خصوصا فى عهد سليمان الحكيم ؛ فلقد رحلوا إلى سبأ لشراء الذهب واللبان والتوابل الشرقية الأخرى .

(ب) التلمود : وهو عبارة عن التفاسير التى وضعتها المدارس اليهوية للتوراة . والمتعرضون لتاريخ الفكر اليهودى يقسمونه قسمين :

— التلمود الفلسطينى ؛ الذى قامت به المدارس الفلسطينية ، واستمرت كتابته فى القرنين الثالث والرابع الميلاديين ، ويمتاز بتمسكه بالرواية القديمة كما وردت فى التوراة .

— التلمود البابلى : وهو الذى وضعته مدارس بابل اليهودية ، وفرغت من كتابته فى القرن السادس الميلادى ، وهذا التلمود يتميز بأنه يحمل الطابع العراقى الحر فى التفكير ، وعدم التقيد بالنصوص الدينية القديمة ، وأهميته تشبه أهمية تفسير القرآن لأنه فصل ماورد مجملا فى الكتاب المقدس القديم .

(ج)ماكتبه المؤرخون اليهود : من أمثال :

يوسف فلافيوس : ويسمى أيضا يوسيفوس الإسرائيل (٣٧ — ٩٣ م) .
وقد ذكر يوسيفوس شيئا عن عمالقة مصر فى كتابه :
آثار اليهود . وكان يوسيفوس متعصبا لقومه ودينه شأن جميع اليهود . ودون تاريخه فى كتابين مشهورين ، ترجم الكتاب الأول إلى اللغة الانجليزية وقد عرض فيه لأخبار اليهود منذ البداية حتى العصر الذى عاش فيه .

أما الكتاب الثانى فخصصه للحروب اليهودية ومآسى اليهود ومحنهم التى تعرضوا لهـا سنة ١٧٠ ق . م إلى سنة ٧٠ م وهى السنة التى خربت فيها العاصمة بيت المقدس وتشرد اليهود فى الآفاق .

ثالثا — النقوش والكتابات الأثرية(١)

لا شك أن للعرب آثارا ربما لا تقل أهمية عن آثار مصر الفرعونية وبابل ، قد طوتها الرمال فى اليمن والحجاز وغيرهما ، عليها نقوش حميرية مكتوبة بالقلم المسند ، أو نقوش آرامية مكتوبة بالقلم النبطى أو غيره . يرجع الفضل فى إماطة اللثام عن بعض الآثار فى أنحاء مختلفة من بلاد العرب إلى العلماء الأثريين الأوربيين الذين استطاعوا أن يزيحوا الستار عن كثير من الآثار فى بلاد العرب شمالا وجنوبا .

وتنقسم هذه المكتشفات الأثرية إلى قسمين :

(١) آثار اليمن وحضرموت :

ويرجع الفضل الأكبر فى تجلية آثار بلاد العرب للعلماء الألمان فى منتصف القرن الثامن عشر الميلادى . وأول هؤلاء العلماء الأثريين العالم الألمانى ميخايلس (١٧١٧ — ١٧٩١ م) . وكان مهتما بالبحث عن آثار التوراة ، ولفت نظره مايتناقله الناس عن بلاد اليمن ، فأشار على فريدريك الخامس ملك الدنمارك سنة ١٧٥٦ بتشكيل لجنة تذهب لارتياد تلك البقاع ، وكانت مهمة هذه اللجنة هى تحقيق بعض القضايا الوارد ذكرها فى التوراة . وكانت هذه اللجنة مكونة من خمسة علماء برئاسة كارستن نيبوهر ، ووصلت هذه اللجنة إلى بلاد اليمن سنة ١٧٦٢ م ، وقد توفى كل علماء هذه اللجنة خلال الرحلة ما عدا نيبوهر الذى كتب — بعد العودة من رحلته — كتابا ضمنه مشاهداته وما وصل إلى سمعه عن بلاد العرب ، وقد طبع الكتاب أكثر من مرة ونقل إلى معظم لغات العالم وخاصة اللغات الأوربية . وهو

---

(١) راجع « العرب قبل الاسلام » — جرجى زيدان — ص ٢٨ — ٣٢

أو كتاب يبحث فى آثار العرب القدماء — وقد جاء فيه « أن مدينتى ظفار وحدافة فيهما نقوش لا يقدر اليهود ولا العرب على قراءتها » (١) .

وتبع نيبوهر العالم الألمانى المستشرق زتسن فسافر إلى اليمن سنة ١٨١٠ م مستضيئا بما قال نيبوهر ، ولكنه لم يضف الكثير إلى ما اكتشفه نيبوهر .

وعثر ضابط انجليزى يدعى ولستد سنة ١٨٣٨ م على نقوش حميرية بقايا قلعة يقال لها حصن غراب .

ولقد ساهم العلماء الفرنسيون أيضا بنصيب فى التنقيب عن آثار اليمن ، وأول هؤلاء أرنو سنة ١٨٤٣ م ، وكان صيدليا لإمام صنعاء ، واستطاع أن يحمل معه عند عودته من أواسط اليمن ٥٦ نقشا من آثار صنعاء والحزيبة ومأرب وحرم بلقيس ، وقد نشرت أخبار رحلة أرنو فى المجلة الأسيوية ، وفيها خريطة لسد مأرب ، إذ يعتبر أرنو أول من تمكن من رؤية آثار ذلك السد . وقد حل نقوش أرنو المستشرق أوسياندر سنة ١٨٥٤ م (٢) .

ويعتبر العالم الأثرى الفرنسى يوسف هاليفى من أهم المستشرقين الذين ارتادوا بلاد اليمن سنة ١٨٦٩ م ، ولقد تمكن من الوصول إلى مأرب وعاد ومعه ٦٨٠ نقشا ، واكتشف هاليفى فى رحلته هذه بلاد الجوف التى مر بها اليوس جالوس القائد الرومانى الشهير ، ثم ذهب إلى نجران واكتشف « معين » عاصمة الدولة المعينية .

ثم عاود الألمان الكرة لتجلية أسرار آثار اليمن القديم ، ومن أشهر العلماء الألمان العالم الأثرى أدوارد جلازر ، ولقد أستطاع الوصول إلى مأرب . وقد نقل معه نحو ألف نقش منها ومن غيرها ، بعضها يتعرض لبناء سد مأرب ، وألف كتابا فى تاريخ بلاد العرب القديمة وجغرافيتها ، لم ينشر منه إلا الجزء الثانى وهو القسم الجغرافى سنة ١٨٩٠ م .

---

(١) Carsten Niebuhr, Riesebeschriebung nach Arabien und andern umliegenden Laendern Koepenhaven 1772-1838-2 Vols.

(٢) Joseph Arnaud ; Rélation d'un voyage à Mareb dans Journal Asiatique, 1848-1874.

وأشهر العلماء الذين عنوا بحل آثار اليمن ونقوشها أو سياندر وهاليفى وموردتمان ومولر وجلازر وديرنبورج وهومل ، وقد ألف كتابا باللغة الألمانية عن نحو اللغة المعينية والسبأية (أى الحميرية) وصرفها وقراءتها .

(ب) آثار شمالى جزيرة العرب :

وأشهر الذين أرتادوا شمالى بلاد العرب بوركهارت وجراهام ووتزشتاين وبلجراف وفوجه ووادنتن ودوتى وأبتن وبلنت ودوسو ، فضلا عن هاليفى ومولر وليتمن وهومل وديرنبورج . وأقدم النقوش التى اكتشفت فى هذه الأماكن لا يتجاوز تاريخها القرن التاسع قبل الميلاد ، وأحدثها فى القرن الثالث بعده . وهى مكتوبة بأقلام مختلفة ، أشهرها الفينيقى والآرامى والنبطى والتدمرى والمسند . وأكثرها أدعية أو أخبار محلية وقتية أو دينية تكمن فائدتها فى ورود أسماء بعض الملوك أو القواد أو الآلهة التى تساعد على تحقيق الحوادث المدونة فى الكتب .

وعلى العموم فإن ما اكتشف من الآثار المنقوشة فى بلاد العرب الشمالية قد أزاح الستار عن كثير من الحقائق التاريخية وذكر دولا وحوادث أهملها التاريخ العربى واليونانى.

(ج) المصادر المنقوشة خارج بلاد العرب :

ونعنى بها آثار بابل وآشور ومصر وفينيقية ، وليست هذه الآثار — كما يظن — بعيدة عن أحوال العرب وتاريخهم ، فلقد وجدت فى آثار بابل نقوش بالحرف المسمارى ، كان لهـا عظيم النفع فى معرفة تاريخ العرب القديم أيام العمالقة (أو العرب البائدة) ، مما لم يتعرض له العرب ولا اليونان ولا وجدوه فى النقوش العربية الجنوبية . فاستدلوا مثلا من قراءة آثار بابل وآشور على تأييد ما ذكره بروسوس مؤرخ تلك الدول من قيام دولة عربية تولت بابل بضعة قرون فى الألف الثالث قبل الميلاد . وآثار مصر تشير إلى سادة العمالقة على مصر نحو ذلك الزمن .

الفصل الرابع

طبقات العرب وأنسابهم

طبقات العرب وأنسابهم :

يجمع علماء العرب على تقسيم سكان الجزيرة العربية إلى ثلاث طبقات :

(١) عـرب بائدة (٢) عرب عاربة

٣) عـرب مستعربة .

كما يتفقون على تسمية القسمين الأخيرين بالقحطانية والعدنانية . وبعبارة أخرى يمكن تقسم العرب طبقا لما بستخلص من أقوال العلماء المذكورين إلى قسمين رئيسيين :

١ ــ العــرب البـائدة : ٢ ــ العــرب البـاقية .

ثم تقسم العرب البائدة إلى : عاربة ، ومستعربة ؛ أى إلى قحطانيين وعدنانيين .

هذا هو التقسيم المتوارث عند مؤرخى العرب منذ عهد التدوين .

ولقد علق الدكتور حسين مؤنس على هذا التقسيم فى حاشية كتاب « العرب قبل الإسلام » للأستاذ جرجى زيدان حيث يقول : (١)

« ينقسم العرب ثلاث طبقات هى : العرب البائدة ــ العرب العاربة ــ العرب المستعربة .

١ ــ العرب البـائدة :

هم أولاد لود وارم إبنى سام بن نوح ،وقد أنجب سام أبناء كثيرين أهمهم لود وارم ، وأرفخشذ ، ومن الأولين تسلسلت قبائل العرب البائدة كما يـلى :

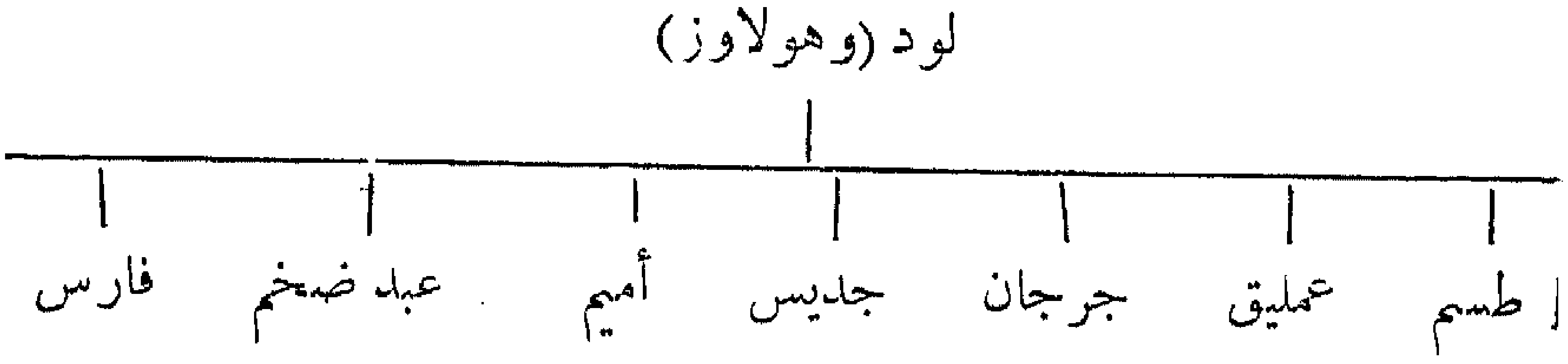

---

(١) أنظر « العرب قبل الاسلام » لجرجى زيدان ــ ص ٥٠ ، ٥١

أى أن خمسة من شعوب العرب البائدة من نسل لود ، ومن بين هؤلاء العماليق أى أولاد عمليق :

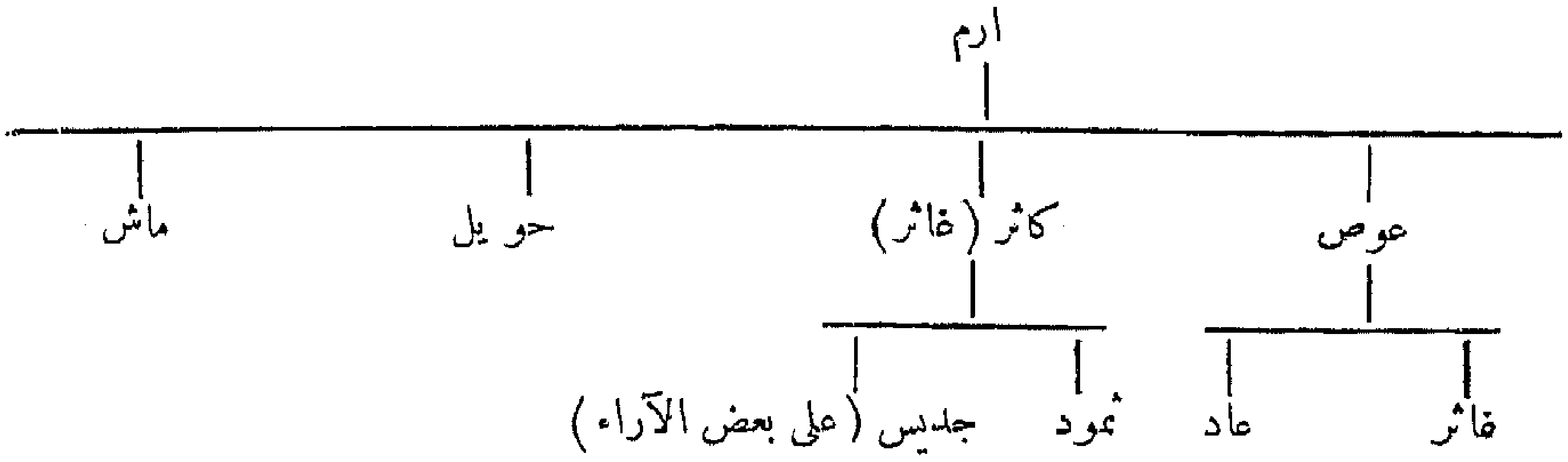

أى أن إثنين من شعوب العرب البائدة من نسل أرم ، هما عاد وثمود ، ويضاف إليهما جديس على بعض الآراء .

ويضاف إلى أولئك الثلاثة جرهم الأول جد قبيلة جرهم الأولى ، وهى غير جرهم الثانية وهى قحطانية .

ويهمنا أن نقف لحظة عند العماليق الذين جعلهم جرجى زيدان أصحاب حضارات بابل وآشور وما أقامه الهيكسوس فى مصر من دول .

وورد اسم العماليق فى التوراة ، وجعلهم الإخباريون أبناء لاوذ بن سام ، ومنهم من جعله ابن أرفخشذ .

وكان العماليق على أصح الآراء جنوب فلسطين ، ومن هنا كان العداء الشديد بينهم وبين العبرانيين ، وهذا يفسر لنا سر عدواة التوراة لهم .

وبسبب هذه العداوة كثر اسم العماليق فى التوراة ، ورويت عنهم القصص وبالغ الناس فى أوصاف أجسامهم وضخامتهم ، وجعلوهم أقدم شعوب الأرض ، وكانت لهم غارات على ماجاورهم من أراضى الرافدين ومصر ، واستقر بعضهم فيها ، ونشأت عن ذلك أساطير كثيرة عن ملكهم فى هذه البلاد وما أقاموه فيها من دول ، حتى ذهبوا إلى أنهم ملكوا بابل وآشور دهرا طويلا .

وهذا هو الذى جعل جرجى زيدان يذهب إلى أن حضارات البابليين والآشوريين عربية لأن الذين أقاموها فى رأيه هم العماليق من العرب البائدة ومنهم حمورابى ، وقد أيد المؤلف رأيه بما فيه الكفاية .

٢ ــ العرب العاربة :

هم أولا قحطان بن عابر (ويقال له هود أيضا) بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح ، أى أنهم ــ على رأى نسابة العرب . أبناء عمومة العرب البائدة ، وبين جيل قحطان وجيل لود وارم جيلان . وإلى قحطان ينتسب أهل اليمن .

وقد اصطنع الإخباريون لقحطان نسبا إلى نوح ، فجعلوه ابن الهميسع بن تيمن بن نبت بن سام بن نوح . وهم جيل قديم دخل الجزيرة العربية بعد زوال أمم العرب البائدة واستوطن اليمن .

٣ ــ العرب المستعربة :

هم العدنانية ، أبناء عدنان بن إسماعيل بن إبراهيم ــ عليه السلام ، وهو أول من نزل منهم جزيرة العرب ، وسكن مع أبنائه مكة ، وتكاثروا فيها وفى شمالى شبه الجزيرة ، وقد عاش عدنان فى أيام بختنصر ، وقتل فى معركة قامت بين قومه وبختنصر ، فمضى إبناه معد وعك فجمعا من كان من أهلهما فى حران وعادا بهم إلى مكة » إنتهى تعليق الدكتور حسين مؤنس .

وإذا كان القرآن الكريم قد أشار إلى عناية العرب بأحسابهم وأنسابهم « فاذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم » (١) إلا أنه لم يتعرض لطبقاتهم أو انقسامهم إلى عدنانيين وقحطانيين ، ولم يرد فيه اسم عدنان أو قحطان ، بل كل ماورد فيه يشعر أن العرب كانوا ينظرون إلى أنفسهم على أنهم من جد أعلى واحد هو إسماعيل بن إبراهيم ، وأن إبراهيم أبو العرب « وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين » (٢) ، وقيل إن الرسول ــ صلى الله عليه وسلم قال : « كل العرب من ولد إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام » .

---

(١) سورة المؤمنون ــ الآية (١٠٠) .

(٢) سورة الحج ــ الآية (٧٧) .

أسس التقسيم السابق ومصادره :

١ — لا تساعد النصوص عن عرب الجاهلية على معرفة نظرة هؤلاء العرب إلى تقسيم سكان الجزيرة بوجه دقيق . وإن أمكن أن يقال إن هناك نصوص ثابتة تدل على صحة تقسيم العرب إلى الأقسام السابقة بوجه عام .

فلقد وردت أشعار وأمثال جاهلية تتحدث عن أمم بادت في الجزيرة العربية منذ أزمنة سحيقة مثل عاد وثمود وجرهم ووبار وطسم وجديس وغيرهم، من ذلك قول شاعر المفضليات في عاد :

أفنين عادا ثم أهل شرق   وتركنهم بددا وما قد جمعوا

وقول زهير بن أبي سلمى في عاد أيضا :

فتنتج لكم غلمان أشأم كلهم   كأحمر عاد ثم ترضع فتفطم

وقول جرير بن خطاء العجلي في ثمود :

ويوم الحنو قد علمت معد   حصدناكم كما حصدت ثمود

وقول الأعشى في وبار :

ومر دهر على وبار   فهلكت جهرة وبار

إلى غير ذلك مما يدل على أن شعور عرب الجاهلية بأن أمما سبقتهم إلى سكنى الجزيرة العربية ، وأن هذه الأمم كانت ذات مجد وحضارة .

٢ — أضف إلى ذلك أن القرآن الكريم خاطب العرب بكثير من أخبار الأمم التي بادت وانقرضت وأصبحت لاترى إلا مساكنهم ، كما يقول الله تعالى : « وعادا وثمود وقد تبين لكم من مساكنهم » ، كما يستنتج من ذلك أن العرب كانوا يعرفون شيئا من أخبار هذه الأمم لأن القرآن يخاطبهم بما كانوا يعرفون ، ويستخرج من ذلك المواعظ والعبر ، فقد كان عرب الجاهلية إذا يعرفون أن من أهل الجزيرة أقواما بادوا وانقرضوا ، وخلفهم أقوام بقوا وورثوا أرضهم وديارهم .

أما أن من بادوا من سكان الجزيرة فقد كانوا عربا ، وعدوا هؤلاء السكان وحصروهم فى قبائل أو أمم ذات أسماء معينة مثل العمالقة وعاد وثمود وطسم وجديس وأميم ووبار وجرهم وعبيل وعبد ضخم وحضورا . . الخ .

وأما تقسيم العرب الباقية إلى عاربة ومستعربة ، وجعل العاربة هم القحطانيون والمستعربة هم العدنانيون ، فلعل كل ذلك لم يعرف على هذا النظام المنهجى الدقيق إلا من كتابات المؤرخين العرب بعد الاسلام ورواياتهم وأخبارهم. وربما كان هؤلاء المؤرخون قد بنوا هذا المنهج المنظم على أساس ما استخلص من أشعار العرب وأمثالهم ورواياتهم عن الإخباريين والنسابين ، وربما كانوا قد أخذوا كثيرا من ذلك أيضا عن مؤرخى الأمم الأجنبية كالفرس والروم واليهود وغيرهم ممن اختلطوا بالعرب قبل الاسلام وبعده ، وكانت عندهم كتب مدونة وأخبار وأساطير متناقلة .

وقد تبين لنا أن عرب الجاهلية كانوا يعرفون أمما بائدة سكنت الجزيرة من قبلهم ، وورد فى أشعارهم تعيين بأسماء هذه الأمم أو بعضها .

كذلك لاشك فى أن عرب الجاهلية كانوا يقسمون أنفسهم إلى بطون (أى قبائل كبيرة) ، وأفخاذ (فروع) ، وجماجم ، وقبائل يتميز بعضها عن بعض فى الأنساب — كما هو شأن نظام الحياة والمجتمعات . والقبيلة التى لم تكن تسمو فى تكوينها إلى إنشاء دولة كانت تخضع لحكم موحد .

وقد اشتهر أن مجموعة من تلك القبائل ترجع إلى قحطان ، على حين ترجع مجموعة كبيرة أخرى إلى عدنان .

ولكن كثيرا من المستشرقين تشككوا فى كل هذه التقسيمات ، وظنوا أنها من صنع المؤرخين المسلمين الذين اعتمدوا فى ذلك على مصادر أجنبية وحجتهم أنهم لم تصلنا عن عرب الجاهلية أنفسهم آثار مدونة تؤيد ذلك ، فقد شك كثير من المستشرقين فى وجود مايسمى بالعرب البائدة ، وعدت

تلك الأمم التى يذكرها مؤرخو العرب من الأمم الخرافية التى ابتدعتها مخيلتهم مدعين أنهم لم يعثروا على أسماء مشابهة لها أو قريبة منها فى اللغات القديمة أو الكتب الكلاسيكية .

ولكن تقدم العلم الحديث أوضح لهؤلاء المتشككين أن فى أحكامهم كثيرا من التسرع بعد أن أمكن الكشف عن كثير من الكتابات القديمة ، وحل رموزها ، مثل الكتابات الثمودية .

وقد كان ذلك حافزا لجيل جديد من العلماء والمنقبين إلى متابعة البحث والدرس حتى يتيسر الوقوف على الآثار والنصوص القديمة التى تؤيد مذاهب العرب ، أو على الأقل لاتتعارض مع مايمكن استنتاجه من الدراسات القديمة والحديثة عن تلك الأمم البائدة أولا ، أى عن الطبقة الأولى من طبقات العرب .

وقد عنى المستشرقون بدراسة موضوع انقسام العرب إلى قحطانيين وعدنانيين ، كما قام علماء آخرون بدراسة جماجم القبائل العربية الجنوبية والقبائل العربية الشمالية فلم يتوصلوا إلى وجود فرق فى تركيب أجسام العدنانيين أو القحطانيين ، وكل ماتوصلوا إليه هو أن القبائل — سواء كانت قحطانية أم عدنانية — تحمل فى دمائها نسبا من الدماء الغريبة بقدر اختلاطها وصلاتها بالأقوام ، ويستوى فى ذلك قبائل الطرفين ، القحطانيين والعدنانيين .

وقد كان للتوراة أثر فى أنساب العرب القدماء ، وهو أثر لم ينكره النسابون والمؤرخون ، والظاهر أن ماجاء فى القرآن الكريم مجملا فى أمر آدم ونوح والطوفان وإبراهيم واسحق ويعقوب واسماعيل . . وغيرهم من الأنبياء ، وما جاء من أمر عاد وثمود وقوم صالح . كل هذا دفع الإخباريين والمستشرقين — المهتمين بمعرفة طبقات العرب وأنسابهم — إلى البحث عند أهل الكتاب ، وخاصة سفر التكوين فى كتاب التوراة ، فأخذوا مايعوزهم منه ، ووفقوا بين ماكان قد علق بأذهانهم فى أمر ماباد من الشعوب العربية وبين ماجاء فيه .

وإذا حصرنا الروايات الواردة فى الأنساب فسنجد أن معظمها يرجع الى رواة اعتمدوا على أخبار أهل الكتب المقدسة مثل كتب الأخبار ، ووهب ن منبه ، وعبد الله بن سلام ، ومحمد بن اسحق ، ومحمد بن السائب الكلبى وابنه أبو المنذر بن هشام، ورجل يهودى اعتمد عليه ابن الكلبى واسمه أبو يعقوب وهو من أهل تدمر.

وكانت الأماكن التى ظهرت فيها هذه الروايات الإسرائيلية هى اليمن والمدينة والعراق ولاسيما الكوفة .

وقد وقع النسابون فى تلك الأخطاء التى وقع فيها نسابو أهل الكتاب كتلك العواطف التى كان يحملها العبرانيون لأجدادهم ، فقد موهم على غيرهم وأضافوا إلى قائمة الساميين ماليس منها ، فكان هذا الاضطراب الذى يمكن لوقوف عليه .

وقد رجح النسابون نسب أقدم طبقات العرب إلى أبناء سام ، ونقلوا أسماء أبناء سام من التوراة فقالوا : إنهم كانوا خمسة : أشوذ ، وأرفخشذ ، لاوذ ، وارم ، وعليم ، وقد أضيف عابر إلى قائمة الأسماء فى رواية أخرى.

وأخذ النسابون أولاد لاوذ : مع شىء من الخطأ فى بعض الروايات، فذهبوا إلى أنه أولد أربعة أولادهم : طسم ، وعمليق ، وجرجان ، وفارس كما أضافوا أسماء أخرى فى بعض الروايات هى : جديس وأميم وعبد ضخم .

وأما إرم : فأولد عددا من الأولاد هم : عوص ، وكاثر أو غاثر ، وحويل ، وماش أو مشج .

وأولد عوص : غاثر ، وعاد .

وأولد غاثر (أو كاثر) : ثمود ، وجديس (على بعض الآراء) . مما تقدم نرى أن المؤلفات العربية الإسلامية جعلت للاوذ ، وغاثر ولعوص — أولادا هم أجداد قبائل سكنت فى مواضع متعددة من جزيرة العرب ، وإن كانت التوراة لا أثر فيها لنسل هؤلاء .

العرب البائدة :

وتتكون هذه الطبقة من عاد ، وثمود ، وطسم ، وجديس ، وأميم ، وجاسم ، وعبيل ، وعبد ضخم ، وجرهم الأولى ، والعمالقة ، وحضورا .

وقد شك بعض العلماء فى حقيقة وجود هذه الأقوام ، فعدها بعضهم من الأقوام الخرافية التي ابتدعتها مخيلة الرواة ، وخاصة حين عجزوا عن العثور على أسماء مشابهة لها أو قريبة منها فى اللغات القديمة ، أو فى الكتب الكلاسيكية غير أن بعضا آخر تمكن من العثور على أسماء بعض هذه الأقوام ، ومن الحصول على بعض معلومات عنها ، ومن حل رموز بعض كتاباتهم مثل الكتابات الثمودية ، كما اتضح لهم أن بعض هذه الأقوام عاشت بعد المسيح ، ولم تكن ممعنة فى القدم على نحو ماتصور الرواة .

وسنحاول أن نقف عند بعض هذه الأسماء التي لحقتها الدراسات العلمية الحديثة ، كنماذج لهذه الدراسات .

١ — عاد

تكاثرت روايات المؤرخين العرب فى ترتيب الشعوب العربية البائدة على جعل عاد أقدم هذه الشعوب ، كما يدل على ذلك ورود خبر عاد فى القرآن الكريم ، كقوله تعالى : « وإنه أهلك عادا الأولى » ، وكذلك يدل الشعر الجاهلي على أن قصة عاد كانت شائعة بين عرب الجاهلية ، يقول نشوان بن سعيد الحميرى (المتوفى سنة ٥٧٣ هـ) (١) :

« ملكت ثمود وعاداً الأخرى معا   منهم كرام لم تكن بشحاح

---

(١) أنظر « ملوك حمير وأقيال اليمن » تحقيق وتعليق السيد على بن اسماعيل المؤيد واسماعيل بن أحمد الجرافى — القاهرة سنة ١٣٧٨ هـ — ص ١٩ ، ٢٠ .

وقوله « ملكت ثمود وعادا الأخرى » فان ملوك حمير ملكت ثمودا وعادا الأولى وثمود الآخرة والدليل على عاد الأولى وعاد الأخرى قوله تعالى :

« وإنه أهلك عاداً الأولى » . وحمير أمة قديمة كعاد وثمود فى القدم ، يدل على ذلك قول الخلجان [1] بن الوهم العادى ملك عاد يخاطب قومه :

فإن لعاد سنة فى حفاظها سنحيى عليها ما حيينا ونقبر » .

وكان عرب الجاهلية يتصورون أن قوم عاد كانوا من أقدم الأقوام ، ولذلك ضرب بقدمهم المثل حتى كانوا ينسبون الشئ الذى يريدون أن يبالغوا فى قدمه فيقولون « عادى » ، أى من أيام عاد ، ومن ذلك مايقال عن تجار الآثار القديمة : « تجار العاديات » .

وفى لسان العرب : « العادى » : هو الشئ القديم .

ويتحدث المسعودى صاحب « مروج الذهب » عن أشجار عادية : أى سحيقة القدم .

أصل اسم عاد :

ومن ثم يرى فلهوزن أن كلمة « عاد » لم تكن فى الأصل إسم علم بل كلمة تعنى القدم ، ويقول فلهوزن إن هذا المعنى هو الذى حمل الناس على وضع تلك الأساطير عن أيام عاد .

وكلمة « عادى » أصل معناها قديم جدا ، وأن هذا المعنى هو الذى حمل الناس على وضع الاسطورة القائلة بأن عاداً أقدم الأمم البائدة .

ولكن إخباريى العرب يرون أن عادا اسم أب هذه القبيلة أو الشعب ، ويقولون فى نسبه هو : عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح . وعلى ذلك

---

(١) ضبطه فى الاكليل ج ١ بضم الخاء وتشديد اللام المفتوحة فجيم ، ولم ينقل الا البيت الأول وهو كما فى الأصل . وفى التيجان ص ٧٢ أن الشعر لعامر ولم يبين من هو .

فهو من أحفاد إرم ، وبذلك يفسرون الآية الكريمة من سورة الفجر (١) : « ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد» . فيقول الجوهرى : « من لم يضف جعل إرم اسمه ولم يصرفه » . كما قال بعض العرب أيضا : إن عادا اسم أمهم أو اسم بلدة ، فعلى الأولى تكون القبيلة منسوبة إلى أمها . ويرى علماء الأنساب أن تلك ، أى نسبة القبيلة إلى الأم ، كانت عادة قديمة ، بل لعلها كانت الطريقة الأولى فى تمييز القبائل . وقد بقيت لها آثار شتى فى الأنساب العربية مثل خندف فهى أيضا اسم أم .

وقد يؤيد ذلك مايراه بعض المستشرقين من وجود صلة بين هذا الاسم وبين « عادة » وهى اسم زوجة لامك بن أرفخشذ بن سام بن نوح . أو أن أصل هذا الاسم هو « عاد » والدة يابال » الذى كان أبا لسكان الخيام ورعاة المواشى (٢) ، ونسلها من الأعراب ومن المعروف أن قوم عاد كانوا من الأعراب أيضا ، وقوم عاد كانوا يقيمون فى الأرض الشمالية الغربية من شبه جزيرة العرب ، لعله عند موضع « بئرارم » وهو من الآبار القديمة فى منطقة « حسمى » فى ديار جذام بين أيله وتيه بنى اسرائيل .

أما من قال إن « إرم » اسم بلدة فينظر إلى قول القرآن « إرم ذات العماد » وهؤلاء يرون أن إرم كانت مدينة ذات عمد قوية البنيان عظيمة الحضارة ، ثم اختلفوا فى تعيين موضعها فى تيه أبين بين عدن وحضر موت .

ويرى الهمدانى فى «الإكليل» وتبعه بعض المؤرخين والجغرافيين العرب أنها دمشق ، كما يرى آخرون أنها الإسكندرية مثل المسعودى فى « مروج الذهب » .

ولكن الظاهر أن الذى دعاهم إلى ذلك هو كثرة الأعمدة فى المدن المذكورة وظهور شبهها بالوصف الوارد فى القرآن الكريم ، كما ساعدهم على تفسيرها

---

(١) سورة الفجر — الآية الخامسة .

(٢) راجع سفر التكوين — الاصحاح الرابع — آية — (٢٠) .

بدمشق أن دمشق كانت من مساكن الآراميين ، بل عاصمة من عواصمهم فربطوا بين اسم آرام وإرم وجعلوه علما على البلدة ، وربما ذهبوا إلى ذلك أيضا لأن « إرم » من أسماء دمشق بالعبرانية .

ويرى جرجى زيدان أن[1] « عاد ارم » اسم القبيلة ، وأن نسبتها إلى ارم لأنها من نسل إرم ، كما يرى أن القبائل البائدة كلها من نسل إرم ، ثم يؤيد هذه التسمية بآثار قديمة من التوراة والكتب الكلاسيكية ، فقد ذكرت التوراة فى الفصلة (٢٧) من الاصحاح العاشر من سفر التكوين ، وفى غير ذلك أيضا اسم قبيلة تدعى « هدورام » ، فرأى أن هذا الاسم يطابق اسم عاد ارم الوارد فى القرآن الكريم .

ولكن التوراة ذكرت هدورام على أنه من نسل يقطان ، أى قحطان ، وهذا لايستقيم مع أخبار الروايات العربية التى تجعل قحطان متأخرا كثيرا عن عاد .

على أن جرجى زيدان يدفع هذا الاعتراض فيقول : لعل كاتب سفر التكوين (الخليقة) رأى مقر تلك القبيلة فى بلاد اليمن فقال إنها من نسل قحطان ، لأن مقام عاد فى الأحقاف بين حضرموت واليمن ، وكثيرا ما التبس علماء التوراة فى هدورام أو هادورام ومقرنسلة ، ولم يهتدوا إلى شىء عنه مع أنهم اهتدوا إلى أماكن أكثر أبناء قحطان وكلها بجوار الأحقاف . فعاد هى هدورام فى التوراة . وإما أن يكون كاتب سفر الخليقة أراد بيان القبائل التى سكنت اليمن وكلها تنتسب إلى قحطان ، فرأى عاد ارم فى جملتها فجعلها من أولاد قحطان ، وإما أن يكون فى الحقيقة من نسل قحطان وهم العرب فى نسبته إلى آرام .

ويقول جرجى زيدان أيضا [2] إن اليونانيين ذكروا فى جملة قبائل اليمن حوالى تاريخ الميلاد قبيلة يكتبونها بلسانهم Adramital ،

---

[1] « العرب قبل الاسلام » ص / ٧٥ .

[2] المرجع السابق — ص / ٧٥ .

وقد يتبادر إلى الذهن أن المراد بها « حضرموت » ولكن هذه يكتبونها باليونانية Xadramotital وباللاتينية Chatramotital ، وقد أوردوا اللفظين معا ، فلو أرادوا قبيلة واحدة لما ذكروهما معا ، فالأرجح أن Adramital يراد بها العادرميون أو العاديون .

مساكن عاد :

أما مساكن عاد فكانت كما يؤخذ من القرآن الكريم — بالأحقاف . يقول تعالى :

« واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف . . . »(١) .

والأحقاف هى الرمال الممتدة بين اليمن وعمان إلى حضرموت والشحر ، وربما كان هذا التحديد الجغرافى غير بعيد ، فقد ذكرنا من قبل أن كثيرا من الباحثين المنقبين فى الجزيرة العربية يظنون أن الربع الخالى يشتمل فى طيات رماله على آثار مدنية أو حضارة بائدة كانت عظيمة الازدهار ، وأنهم وجدوا بعض الشواهد على ذلك .

وقد قرن القرآن الكريم ذكر عاد بذكر ثمود : « ألم تر كيف فعل ربك بعاد ، إرم ذات العماد ، التى لم يخلق مثلها فى البلاد ، وثمود الذين جابوا الصخر بالواد »(٢) ، وقوم عاد من الأعراب الذين كانوا يقيمون فى الأرض الشمالية الغربية من شبه جزيرة العرب ، لعله عند موضع « بئر إرم » وهو من الآبار القديمة فى منطقة « حسمى » على مقربة من جبل يعرف بهذا الإسم فى ديار جذام بين أيله وتيه بنى إسرائيل ، ولا يبعد هذا الموضع كثيرا عن أماكن ثمود الذين ارتبط إسمهم باسم عاد فى القرآن الكريم ، وربما كان هذا الرأى هو الأقرب إلى الصواب .

---

(١) سورة الأحقاف — الآية (٢٠) .

(٢) سورة الفجر — الآيات (٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨) .

كما روى فى مختلف الكتب العربية أن بعض الإخباريين اندفعوا يلتمسون مواضع عاد فى الصحارى ، وذكرت فى ذلك قصص من قصص المغامرات .

على أن هناك آثار كتابية أخرى تدل على أن عادا لم تقتصر سكناتهم على الأحقاف ، بل تجاوزوها إلى أماكن أخرى من أنحاء الجزيرة .

وقد ذكر بطليموس قوما سماهم « أؤدتى » كانوا يسكنون أو يقيمون فى موضع لا يبعد كثيرا عن المواطن المعروفة لثمود ، وربما كان المراد من هؤلاء القوم أنهم قوم عاد ، بل ذلك هو الراجح ، ويؤيده ما سبق أن ذكرنا من اقتران عاد وثمود فى كثير من نصوص القرآن الكريم ، مما يدل على تجاورهما وتقاربهما . كما أن بطليموس ذكر موضعا يقال له « أرماد » وفسره كل من العالمين موذل ومورتس بأنه هو « إرم » أو « إرم ذات العماد » وقال إنه هو المكان الذى يقال له اليوم « رم » وهو يقع على مسافة ٢٥ ميلا شر العقبة قرب الأردن .

وقد أظهرت الحفريات التى قام بها Horsfiel سنة ١٩٣٢ فى موضع جبل « ارم » صحة هذا الرأى ، إذ ورد فى الكتابات النبطية فى خرائب معبد اكتشف على جبل « رم » أن اسم هذا الموضع هو « إرم » الوارد ذكره فى القرآن الكريم . .

بقايا معارف عربية عن عاد وديانتهم :

كانت ديانة عاد الوثنية ؛ فقد جاء فى « نهاية الأرب » للنويرى — ج — ١٣ ص — ٥١ وكتاب « الأصنام » — لابن الكلبى ص - ١١٠ — ١١٣ أن قوم عاد كانوا يرجعون إلى فصاحة وشعر ، وكانت لهم ثلاثة أصنام هم : صدا — هبا — وصمو .

وقد اختلف العلماء المحدثون فى تحديد أصل هذه الأصنام لاسيما أنه لم يرد نص جاهلى مدون يذكرها ، ويبدو أنها حرفت بقدم الزمن ، وربما كان بعضها أو كلها أوصافا لا أسماء لأسماء معينة .

فمثلا يرى بعض العلماء أن «صمو» تحريف صلمو أو صلم ، وهو من آلهة ثمود المعروفة بينما يرى آخرون أن «صدا» أصلها صدو. وعند البابليين شدو معناها فى الأصل الجبل ثم صارت وصفا مقترنا باسم الإله آشور .

ويرون أن « هبا » تحريف هبل ؛ وهو اسم إله معروف عند الجاهليين . وقيل أيضا إن « صدا » تحريف (سرى) وهو يساوى « ذو الشرى » من آلهة ثمود . ولا يمكن الجزم بشئ من ذلك ، ولكن الثابت عند العرب أن عادا كانت أمة وثنية طغت واستكبرت عن أمر ربها ، فأرسل الله إليها هودا النبى ليعظها ويذكرها بأمر الله ، فأعرضت ، فأرسل الله عليها ريحا صرصرا عاتية ، سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما ، وطمستهم الرمال فعفى رسمهم ، وانمحى تاريخهم من الوجود « فصب عليهم ربك سوط عذاب ، إن ربك لبالمرصاد »⁽¹⁾ أما هود فقد نجاه الله ومن آمن به ؛ فانتقل بعد هدوء العاصفة إلى الشحر وقضى بها بقية عمره ، فلما مات دفن فى أرض حضر موت فى وادى برهوت قريبا من بئر برهوت .

ولايزال هناك فى تلك المنطقة موضع يعرف إلى اليوم باسم قبر هود ؛ ومن عادة الناس هناك أنهم يقصدونه للزيارة فى اليوم الحادى عشر من شعبان وفى هذه المناطق آثار منقرضة وقرى جاهلية ، كما تشاهد كهوف ومغاور على حافتى الوادى وصور ونقوش على الصخور تدل على أنها كانت من المناطق المأهولة .

ومن الشخصيات التى اقترنت بذكر عاد فى التراث العربى شخصية لقمان ، وقد اختلف العرب فيه ، فمنهم من يرى أنه لقمان بن عاد ، وأنه هو نفسه لقمان الحكيم الذى قال فيه القرآن الكريم : « ولقد آتينا لقمان الحكمة أن أشكر لله . . »⁽²⁾.

---

(1) سورة الفجر ــ الآية (١٢ ، ١٣) .

(2) سورة لقمان ــ الآية (١١) .

وعده أبو حاتم السجستانى ثانى المعمرين، أى طوال العمر، بعد (الخضر) الذى ذكر القرآن فى سورة الكهف – قصته مع موسى عليه السلام .

ووردت عن لقمان قصة أنه عاش ٥٦٠ عاما بعمر سبعة أنسر عاش كل منها ٨٠ عاما ؛ فكان يأخذ فرخ النسر فيجعله فى الجبل فيعيش النسر ما عاش فاذا مات أخذ آخر فرباه حتى كان آخر هذه النسور (لبدة) وكان أطولها عمرا فقيل « طال الأبد على لبد » – وقال الشاعر فى ذلك :

أو لم تـر لقـمان أهلكه   ما اقتات من سنة ومن أشهر
وبقاء نسر كلما انقرضت   أيـامه عـادت إلى نسـر

ويقول النابغة :

أمست خلاء وأمسى أهلها احتملوا
أخنى عليها الذى أخنى على لبد

ولكن آخرين فرقوا بين لقمان المعمر ولقمان الحكيم ؛ ومن هؤلاء الجاحظ الذى يقول فى (البيان والتبيين) « وكانت العرب تعظم شأن لقمان بن عاد الأكبر والأصغر ولقيم بن لقمان فى النباهة والقدر وفى العلم والحكم وفى الحلم والعقل » (١) .

ولقمان بن عاد ولقيم بن لقمان الواردان فى النص السابق للجاحظ غير لقمان الحكيم المذكور فى القرآن الكريم على ما يقول المفسرون .

ويقول بعض المفسرين إن لقمان الحكيم المذكور فى القرآن الكريم – كان عبدا صالحا فى عصر داود النبى . أما لقمان الأنسر فهو لقمان بن عاد . وهناك لقمان الحميرى وكان أيضا حكيما عالما يعلم الأبدان والأزمان ؛ أى الطب والفلك . وهناك أقوال كثيرة أخرى .

---

(١) راجع البيان والتبيين – للجاحظ – ج / ١ ص / ٣٦ .

وبعد . . فلعل خير ما نختتم به القول فى عاد وديانتهم — أن نورد آيات الذكر الحكيم التى تذكر قوم عاد وأخاهم هودا الذى جاء يوصيهم بما وصى بنيه ، ويعظهم بما حكى الله تبارك وتعالى عنه « وإلى عاد أخاهم هودا ، قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره » إلى قوله « ولا تتولوا مجرمين » فكان ردهم : ما حكى الله تعالى عنهم : « ياهود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك ، وما نحن لك بمؤمنين . وقالوا من أشد منا قوة — إلى قوله — ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون » فأهلكهم الله — كما ذكرنا آنفا — بريح صرصر عاتية أفنتهم وتركتهم صرعى ولم تبق ولم تذر منهم أحدا إلا هودا ومن آمن معه — يقول الحق سبحانه وتعالى : « وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما ، فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية . فهل ترى لهم من باقية » فلما هلكت عاد على غير دين هود ، جزع هود عليهم ، فأنشده ابنه قحطان شعرا يسلى عليه بعض ما كان به(١) :

إنى رأيت أبى هودا يؤرقه   حزن دخيل وبلبال وتسهاد
لا يحزننك إن خصت بداهية   عاد بن عوص فعاد بئس ما عادوا
عاد عصوا ربهم واستكبروا وعتوا   عما نهوا عنه لاسادوا ولاقادوا
قاموا يردون عنهم من سفاهتهم   ريحا بها أهلكوا أيان ما بادوا

٢ — ثمود

وقد تكون ثمود أحسن حظا فى التاريخ من عاد ، فقد كشف العلم الحديث عن كثير من آثارها ، كما كان العرب يعرفون عنها من الأخبار أكثر مما يعرفونه عن عاد ، بل ذكر بعضهم أن قبيلة ثقيف التى كانت مساكنها

---

(١) وردت هذه الأبيات فى كتاب « ملوك حمير وأقيال اليمن » تحقيق وتعليق : السيد على بن اسماعيل المؤيد ، واسماعيل بن أحمد الجرافى — القاهرة — ١٣٧٨ هـ (ط / المطبعة السلفية) ص / ٣ ، ٤ : ويروى أن هذه الأبيات ليعرب بن هود عليه السلام ، أو يعرب بن قحطان بن هود .

بالطائف . نرجع إلى ثمود ، وإن لم يرض ذلك الثقفيين ، وكان الحجاج بن يوسف الثقفي يكذب ذلك (هكذا ذكر ابن خلدون فى مقدمته – ج ٢ – ص ٢٤) كما ذكر الرحالة دوجتى فى كتاب « صحراء العرب » – ص ٦٣ – أن بدو نجد يذكرون أن قبيلة بنى هلال الحالية هى من نسل عاد وثمود .

نسب ثمود ومساكنهم :

وينسب العرب ثمود إلى سام بن نوح أيضا ، فهو ثمود بن جاثر بن ارم بن سام بن نوح – عليه السلام – بن لمك بن متوشلح بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شين بن آدم أبي البشر (١)

ويذكر الطبرى أن أهل التوراة ينكرون وجود عاد وثمود وهود وصالح ، ويقول إن أمرهم عند العرب في الشهرة أيام الجاهلية والإسلام كشهرة إبراهيم وقومه ، وإنه ورد ذكرهم فى شعر شعراء الجاهلية . وورد اسم ثمود فى مواضع كثيرة من القرآن الكريم منفردا تارة ومقرونا بأسماء شعوب أخري مثل عاد إرم وفرعون ذي الأوتاد ، ويؤخذ من ذكر القرآن لثمود أن عرب الجاهلية كانوا يعرفون مصير ثمود ، وأنهم كانوا يعرفون مساكنهم كما عرفوا مساكن عاد ، حيث يقول تعالى(٢) : « وعاد وثمود وقد تبين لكم من مساكنهم » ، وبالرغم من عدم تعيين القرآن منازل ثمود فانه يظهر من قوله تعالى : « وثمود الذين جابوا الصخر بالواد » أن منازلهم كانت في مناطق جبلية وهضاب ذات صخور ، وقد قال المفسرون « جابوا الصخر » أي قطعوا صخر الجبال واتخذوا فيها بيوتا ، والواد هو وادي القرى .

---

(١) « ملوك حمير وأقيال اليمن » ص / ٢

(٢) سورة العنكبوت – الآية (٣٧) .

وعين بعض الرواة مدينة الحجر على أنها من ديار ثمود ؛ وهى قرية بوادى القرى .

ونقل ياقوت عن الاصطخرى أنه زارها ، وذكر أن بها بئرا تسمى بئر ثمود ، وقد نزل عندها الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، وأصحابه ، فى غزوة تبوك .

ويقول المسعودى إن منازل ثمود كانت بين الشام والحجاز إلى ساحل البحر الحبشى ، أى البحر الأحمر ، وأن ديارهم كانت بفج الناقة : وهو مكان قريب من الحجر يسميه بطليموس دناتا ، وأن بيوتهم كانت منحوته فى الجبال ، وأن رممهم كانت فى أيامه باقية وآثارهم بادية وذلك فى طريق الحج لمن ورد الشام بالقرب من وادى القرى .

الكتب والنقوش القديمة التى ورد فيها ذكر ثمود :

١ — فقد ورد ذكرهم باسم ثمودى ضمن شعوب أخرى فى نص من نصوص ثربون الثانى وهو ملك من ملوك أشور (٧٢١ : ٧٠٥ ق . م) بمناسبة معركة جرت بين الأشوريين وبين هذه الشعوب ، انتصر فيها الأشوريين .

٢ — وجاء ذكرهم فى المصادر الكلاسيكية ؛ فقد ذكرهم بطليموس باسم : ثمود ينى أو ثمودتى ، وجعل مساكنهم فى الشمال الغربى من العربية السعيدة : Arabia Felix ، أى فى المواضع التى عينتها المصادر العربية .

٣ — ويستفاد أيضا من قول ديودورس أن ثموديني كانوا يقيمون على ساحل صخرى طويل لا يصلح لسير السفن ، ولا توجد فيه خلجان تأوى إليها القوارب ، وتحتمى بها من الرياح ، ولا ميناء تتمكن من الرسو فيه .

ومن هذا الوصف يبدو أن مواطن الثموديين كانت بالحجاز على ساحل البحر الأحمر . ويقول أورانيوس إن الثموديين كانوا يجاورون النبط .

وكل هذه النصوص وما شابهها تتقارب فى تحديد أماكن ثمود . وتتشابه فى ذلك مع أقوال العرب ، غير أنه ينبغى ملاحظة أن هذه المناطق التى ذكرت

فى مواطن ثمود تعد فى القسم الشمالى من الجزيرة العربية ، وقد يختلط الأمر بسبب ذلك فيعد قبائل ثمود من قبائل عرب الشمال .

ولكن الثابت أن ثمود كانت من عرب الجنوب ، والظاهر أن موجات منها نزحت إلى الشمال ، فسكنت الحجاز وحوران وغيرهما ، كما يبدو أنهم توسعوا وسكنوا أماكن كثيرة فى الجزيرة العربية .

وتدل النقوش التى عثر عليها حديثا على ذلك أيضا ؛ فالثابت أن طابع هذه النقوش يرجع إلى الخط المسند الجنوبى ، بل يرى المستشرقون أن الخط الثمودى ينقسم إلى قسمين :

قديم : وهو أصل الخطوط السامية الجنوبية — وحديث : نشأ بعد تلك الخطوط .

ويرى لدزبارسكى أن الخط الثمودى أحدث عهدا من الخط المعينى السبئى .

وقد عثر فى اليمن أيضا على نقوش ثمودية مما يؤكد صلة الثموديين بجنوب الجزيرة . ووجدت نصوص ثمودية أيضا فى مناطق حائل بنجد وفى أرض تبوك وتيماء ومدائن صالح ، والسلاسل الجبلية بين هذه المنطقة وبين الحجاز والطائف ، وفى شبه جزيرة سيناء ، وفى الصفا شرقى دمشق ، وفى مصر .

وهناك مجاميع مختلفة تبلغ الآلاف من الكتابات الثمودية ، اجتهد كثير من المستشرقين فى حل رموزها مثل لتمان وغيره ، وقد كتبت هذه المجاميع بكتابات متنوعة من القلم الثمودى ، وأرخ بعضها بتواريخ أوائل الميلاد ، كما وجد بعضها أسماء ملوك لحيان فسميت لحيانية لذلك .

والقسم الآخر يسمى بالنقوش الثمودية ، ومن ثم عد بعض المؤرخين اللحيانيين من بقايا الثموديين . وهناك فرع آخر من الخط الثمودى ، وجد قريبا من جبل الصفا بحوران شرقى دمشق فسمى بالخط الصفوى .

وقد أدرك قوم ثمود أيام المسيح ، وعاشوا بعد الميلاد ، وقد كانوا يقطنون فى هذه الأيام أعالى الحجاز فى دومة الجندل والحجر ، وفى غربي واحة تيماء فى المنطقة المهمة التى يمر بها طريق اليمن ـ الحجاز ـ الشام ومصر والعراق ، وقد تمكن لانكسترهاردنك : محافظ مديرية الآثار العتيقة فى المملكة الأردنية الهاشمية من تصوير ما يزيد على خمسمائة كتابة ثمودية أرسلها إلى المستشرق المعروف لتمان تعود بعضها إلى ما قبل الميلاد ، ويعود قسم منها إلى ما بعد الميلاد .

ديانة ثمود وحديث هلاكها :

من المعروف ـ عند العرب ـ أن الثموديين كانوا أيضا من عباد الأوثان ، كفروا بالله وحادوا عن أمره ، فأرسل الله إليهم النبي صالح يعظهم وينذرهم ولكنهم لم يزعنوا لأمر الله على لسان نبيه صالح ، فأرسل الله عليهم الصاعقة بظلمهم ، فأصبحوا فى ديارهم جاثمين .

ويرى المستشرق براى أن ثمودا أصيبوا بكارثة عظيمة هى عبارة عن ثوران براكين وهزات أرضية ، لأن المناطق التى كانوا يسكنونها من مناطق الحرار : أى الأرض السوداء ، كما أن عبارتى : رجفة وصيحة الوارد ذكرهما فى القرآن الكريم تؤيدان ذلك .

وفى بعض النصوص الثمودية ذكرت عبارة « صلم » ، وقد كانت تيماء من أهم الأماكن التى تقدس هذا الإله حوالى سنة ٦٠٠ ق . م ، وكانوا يرمزون إلى هذا الإله برأس ثور . كما ورد فى كتابات أخرى ذكر ذى الشرى وهبل ومنوت واللات . . . وغيرها .

ولكن بعض المستشرقين يرى أن قوم ثمود أدركوا المسيح وعاشوا بعد الميلاد ، وكانوا يقطنون دومة الجندل على مقربة من الطائف وفى غربي واحة تيماء . كما كانوا يمتلكون فى منتصف القرن الثانى للميلاد حرتى العوارض اولإرحاء .

قصة ثمود وناقة صالح :

(١) قال عبيد بن شريه : إنه لما أهلك الله عادا الأولى والآخرة ، تخلفت ثمود بعدهم فانتشروا فى البلاد . . وعبدوا الأصنام . وكانت منازلهم بالحجر — وهو وادى القرى إلى رملة فلسطين — ما بين الحجاز والشام ، وذلك قول الله عز وجل « ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين » ، وكانوا قوما عربا وأعطاهم الله فضلا فى القوة والأبدان ، وسعة فى الرزق ، وطولا فى الأعمار ، فلم يزدهم ذلك إلا طغيانا وكفرا ، فلما كثر عتوهم ، بعث الله إليهم صالحا عليه السلام وكان من أوسطهم نسبا ، وهو صالح بن عمرو بن وهبة بن كاشح بن أحقب بن الود بن ثمود بن عابر بن إرم بن سام بن نوح ، فمكث يدعوهم من عصر شبيبته ، إلى أن صار شيخا كبيرا ، وكان من أمرهم أنهم قالوا له : يا صالح قد أكثرت علينا الدعاء ، وخوفتنا العذاب ، وأنت بشر مثلنا ، وذكرت أن الله أرسلك إلينا ، ونحب أن تأتينا بآية إن كنت من الصادقين . فقال صالح : فإذا فعلت ذلك لكم ، وفعله لى ربى وربكم ، ما الذى تفعلون ؟ قالوا : نعبد إلهك ، ونؤمن به ، ونتبعك . . . ثم نظروا إلى صخرة منفردة فى قاع أفيح ، قالوا : يا صالح ، إنا طلبنا منك أن تخرج لنا من هذه الصخرة ناقة حمراء عشراء (أو شعراء) ، لها ضجيج وعجيج ، ورغاء شديد ، تفور لبنا سائغا .. ولم يكن الله ليحتقر نبيه ، وهو القادر على ما يشاء ، ثم قام صالح ، وصلى ما شاء الله ، ثم رفع رغبته إلى الله ، فدعاه ، وتضرع إليه .. فإذا الصخرة تتحرك وترتعد من خشية الله تعالى .: فنظروا إليها تتمخض كما تتمخض المرأة للولد ، ثم انصدعت وانفلقت عن ناقة عظيمة ، على ما سألوا ووصفوا ، إلا أن الله عظم خلقها على كل دابة فى الأرض ، وكانت كأنها طود عظيم ، فلما رأى ذلك رئيسهم جندع بن عمرو خر لله ساجدا ، وسجد معه بشر كثير من عظمائهم وسفلتهم ، . وأقر الله

---

(١) راجع « ملوك حمير وأقيال اليمن » ص / ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ .

عين نبيهم وصدق ظنه فيهم ، وكانت العامة من ثمود عند ذلك قد خشوا أن يموتوا تلك الساعة ، فقام فيهم نفر من مشائخهم ، مشايخ أهل الكفر والضلالة ، .. فنهوا ثمودا عن الإسلام ، يقول عز وجل(١) « وأما ثمود فهدينا هم فاستحبوا العمى على الهدى » ، واستحوذ عليهم الشيطان فأطاعوا ساداتهم وارتدوا إلى الكفر .. ومكثت الناقة فى أرض ثمود ترعى الشجر وتشرب الماء . ثم إن صالحا خشى عليها سفهاء ثمود فقال : يا معشر ثمود : (٢) « هذه ناقة الله لكم آية ، فذروها تأكل فى أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم » فأوحى الله إليه (٣) « ونبئهم أن الماء قسمة بينهم ، كل شرب محتضر » وقال (٤) « لها شرب ولكم شرب يوم معلوم » . وقيل كانت ترد يوم شربها ، فاذا ورت وضعت رأسها فى الماء فتسفه « أى تستقيه » حتى لا تدع قطرة ، .. ثم تدر فيحلبون ما شاءوا من لبن ، ويدخرون منه فى آنيتهم ما أحبوا ، فيكون لبنها خلفا لهم عن الماء ؛ وسموها الهجول ؛ وإذا كان يوم وردهم شربوا من الماء ما شاءوا ، وادخروا منه ما شاءوا ليوم وردها . وكانوا من ذلك فى سعة وفضل ، وكانت الناقة إذا جاء الصيف طلعت ظهر الوادى ، فهربت منها المواشى والإبل والبقر والغنم وغيرها من الوحوش إلى بطن الوادى ، وإذا ورد الشتاء والبرد هبطت الناقة إلى بطن الوادى ، وذعرت منها الدواب إلى ظهر الوادى ، فى برد شديد وجدب شديد ، وأضر ذلك بمواشيهم . فلما كان ذات يوم ، أصبحت الناقة فى بطن الوادى معها سقب لها على مثل خلقها ، وهيئتها فلما رآه كفار ثمود قالوا : سحر صالح الناقة حتى نتجت سقبا. فمكثوا على ذلك حتى دنا الوقت الذى أراد الله فيه هلاكهم ، فانبعث فيه عجوز ملعونة يقال لها عنيزة بنت غنم ، وكانت ذات ماشية كثيرة هى وأخت لها من أمها يقال لها الصدوف ابنة المحيا — ثم إن الفاسقتين أجمعتا رأيهما

---

(١) سورة فصلت — الآية (١٦) .

(٢) سورة الأعراف — الآية (٧٢) .

(٣) سورة القمر — الآية (٢٧) .

(٤) سورة الشعراء — الآية (١٥٤) .

على عقر الناقة . وانطلقت عنيزة الفاسقة ، إلى رجل من أهل مدينة قرح (وهى الحجر) يقال له قدار بن سالف ، وكان فاسقا ملعونا جريئا على الله سبحانه وعلى الفواحش ، وهو أحد التسعة(١) الذين ذكرهم الله تعالى محكم كتابه بقوله(٢) : « وكان فى المدينة تسعة رهط يفسدون فى الأرض ولا يصلحون » ، فكلمته عنيزة الفاسقة فى عقر الناقة ، فأجابها عدو الله إلى ذلك. فرماها بسهامه حتى خرت الناقة صريعة لها رغاء شديد ؛ ثم طعن بالسيف لبتها فنحرها ، قال عبيد بن شرية : وأكب قدار وأصحابه على الناقة ، فذبحوها وجزوا لحمها أعضاء ، وأتتهم عنيزة والصدوف بالخمر والقدور إلى الوادى ، فنصبوها وشووا وشربوا وأكلوا ، وظلوا نهارهم فى ذلك المكان يتمتعون ويلهون ويقولون الأشعار ، فكان مما روى لنا مما قالوا هذا الشعر(٣) :

وأصبح صالح فردا حقيرا   وما يرجو لناقته نصيرا
عقرناها بأيد ثم عـز   ولم نخش لذى ثأر نكيرا
سنطلب صالحا ومصدقيه   لنلحقه بناقته عقـيرا
سنطلبه ونقتله فمن ذا   يكون له وإن هرب المجيرا

فأجابه رجل من المسلمين يقول :

عصت بغيا ثمود رسول ربى   أخاهم صالحا وعصوا قديرا
على الأشياء أخرج — كى يتوبوا   لهم من صخرة الوادى — بعيرا
سقاهم مثلها ماء معينا   وأرواهم بها درا غزيرا
فما اعتبروا بها أبدا ولكن   طغوا وبغوا وغالوها كفورا
وقالوا فاعقروها ثم ملوا   لنا من لحمها الوادى قدورا
أطاعوا مصدعا وقدار غيا   ورهطا تسعة كسبوا الشرورا

---

(١) فى الكشاف فى سورة النمل ج / ٣ ص ٣٦٥ وأسماؤهم عن وهب ابن منبه : الهذيل بن عبد رب ، غنم بن غنم ، رئاب بن مهرج ، مصدع بن مهرج ، عمير بن كردية ، عاصم بن مخزمة ، سبيط بن صدقة ، سمعان بن صفى ، قدار بن سالف .

(٢) سورة النمل — الآية (٤٧) .

(٣) من شعرهم .

قال : وكان صالح صلى الله عليه وسلم نازحا عنهم في دار قومه ، لا علم له بما فعلوا بالناقة ، حتى بلغه الخبر ، فخرج مسرعا فى عصبة من قومه حتى وقف عليهم ... فقال لهم صالح : أعقرتموها ؟ رماكم الله بما لا طاقة لكم به من العذاب وأنتم تنظرون ، فاستجاب الله دعاءه، وأوحى الله إليه أن صيحة نازلة بهم لثلاثة أيام ، فقال لهم صالح « تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام ، ذلك وعد غير مكذوب » ، فقالوا وهم يسخرون منه: ما علامة ذلك يا صالح؟ حى الله تبارك وتعالى إليه أن علامة ذلك أن تصبح وجوههم يوم الخميس صفرة ، وتصبح يوم الجمعة محمرة ، وتصبح يوم السبت مسودة ، ثم تيهم العذاب غداة يوم الأحد مشرقين : فلما سمعوا قوله كذبوه ، وتآمروا تله فى ليلتهم تلك ، وقالوا : هلموا لنقتل صالحا وأصحابه فى ليلتنا هذه ، ونلحقه بناقته .. فان يك صادقا فقد عجلناه ، وإن يك كاذبا فقد اشتفينا منه ، . نطلق قدار وأصحابه حين أمسوا حتى أتوا منزل صالح يريدون قتله فوجدوه وأصحابه المسلمين قعودا يذكرون الله تعالى ، فلما طال ذلك عليهم قالوا : هلموا : لنقتله وأصحابه ولا يعلم أحد من قتلهم ؛ وإن طالبنا أحد من أوليائهم ، أقسمنا لهم : ما شهدنا مهلك أهله ، وذلك قوله تعالى (١) « قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله ، ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك أهله وإنا لصادقون »ثم وثبوا ليقتحموا البيت على صالح ، فبعث الله تعالى ملائكته معهم حجارة من نار . فهلك قدار وأصحابه .. قال فأوحى الله تعالى إلى صالح بأمر قدار وأصحابه الرهط إذ لم يعلم صالح من قتلهم (٢) « إنا دمرناهم وقومهم أجمعين » ، لما أرادوا قتل صالح وأصحابه . وأصبحت وجوههم يوم الخميس مصفرة ، سوى صالح ومن أسلم معه . فلما رأوا ذلك أيقنوا بالعذاب ، وعلموا أن صالحا قد صدقهم ، وأجمعوا على قتله وقتل أصحابه ، .. وشغل عنه رهطه بما جاءهم من الأمر . وبلغ صالحا عليه السلام ذلك عنهم فخرج من بين أظهرهم ومن معه من المسلمين إلى الشام ، فلما أصبحت وجوههم يوم الخميس مصفرة و يوم الجمعة محمرة و يوم السبت مسودة ، أيقنوا بالعذاب ، .. فاحتفر كل منهم قبرا لنفسه وتحنطوا

---

(١) سورة النمل ــ الآية (٤٩) .

(٢) سورة النمل ــ الآية (٥١) .

ولبسوا أكفانهم ،.. وجلسوا فى حفرهم يوم الأحد ، فلما ارتفع الضحى أخذتهم الصيحة ، فلم يبق منهم صغير ولا كبير . قال تعالى(١) « فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا » .

ونختتم القول فى ثمود بالذى هو خير ، يقول الحق سبحانه وتعالى(٢) « الحاقة ما الحاقة ، وما أدراك ما الحاقة ، كذبت ثمود وعاد بالقارعة فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية ، وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية » .

٣ — طسم وجديس

أما طسم فهى أمة ورد اسمها كثيرا فى أشعار العرب ورواياتهم وإن لم يرد لها ذكر فى القرآن الكريم .

ويرى بعض المستشرقين أنها كانت أمة خرافية ابتدعها الإخباريون ولكن لا حجة لهم فى ذلك والإثبات مقدم على النفى مالم يقم دليل عليه . وقد وردت جملة فى نص يونانى يرجع تاريخه إلى سنة ٣٢٢ م ، ويشتمل على كلمتى « أنعم طسم » .

كما ورد فى الفصلة ٣ من الإصحاح ٢٥ من سفر التكوين ذكر قبيلة تسمى « لطوشيم » من نسل دادان بن يقشان . وقد فهم جرجى زيدان أن ذلك تحريف اسم طسم ، وربما كشف التنقيب عن آثار تؤيد روايات العرب وأخبارهم .

ومعرفة العرب بأخبار طسم قليلة أيضا ؛ وقد جاء فى المثل لما لا أصل له قولهم : « أحاديث طسم » ، وإنما يرجع ذلك إلى أنها كانت من الأمم

---

(١) سورة النمل — الآية (٥٢) .
(٢) سورة الحاقة — الآيات (١ — ٥) .

البائدة التى لم ترد كتابات ولا روايات متصلة عن حياتها وآثارها ، على أنهم ذكروا لطسم وجديس التى سيأتى ذكرها قصة مشهورة سنشير إليها فيما بعد .

ويقول النسابون العرب إن هذه الأمة تنتهى إلى طسم بن لاوذ بن سام بن نوح بل قال بعضهم إنها من عاد .

وكانت مواطن طسم وجديس فى اليمامة حينما كانت من أخصب البلاد وأكثرها عمرانا .

وقال بعضهم إنها كانت بالأحقاف والبحرين . كما قال آخرون إنهم كانوا يسكنون مكة .

ومن الأماكن والمعالم المنسوبة إلى طسم المشقر ، وهو حصن بين نجران والبحرين على تل عال ويقابله حصن بنى سدوس وينسب بعض الرواة بناء هذا الحصن إلى سليمان النبى بوساطة الجن . والظاهر أن مرجع مثل هذه الروايات هو جهل العرب لنشأة مثل هذا الحصن وتاريخ بنائه وفيه يقول المخبل السعدى :

فلئن بنيت لى المشقر فى صعب تقصر دونه العصم
لتنقبن عنى المنيـــــة إن الله ليس كعلمه علم

وسكنت هذا الحصن– فيما بعد – قبيلة عبد القيس (أهل البحرين) ، وكذلك ممن حضرتهم (معنق » وعلى مقربة منه قصر يقال له الشموس ، ولكن هذا القصر من بناء لجديس لا طسم ، والشموس اسم عفيرة بنت عباد الجديسية ، وفى هذين القصرين يقول الشاعر :

أبت شرفات فى «شموس ومعنق» لدى القصر منا أن تضام وتضطهدا

ومن مدن طسم اليمامة وحجر وهى باليمامة أو قريبة منها ، وقد سكنها فيها بعد فرع من بنى حنيفة ، وفيها يقول أحد شعرائها حين نزلوا بها ووجدوا فيها آثار حضارة وعمران :

نزلن بدار كان فيها أنيسها   فبادوا وخلوا ذات شيد حصونها
فصاروا قطينا للفلاة بغربة   رميما وصرن فى الديار قطينها
وسوف يلينا بعدها من يحلها   ويسكن عرضا سهلها وحزونها

ومنها القرية : وكانت من أخصب قرى اليمامة ، كما كان بها قصر عظيم من الصخر زعموا أنه كان من حجر واحد بناه جن سليمان .

كما كان بها حصن مشهور يسمى « جعدة » وكان يحيط بها وقد تحدث عنه الهمدانى فى كتابه « صفة جزيرة العرب » ويبدو أنه كان باقيا إلى عهده وقد وصفه بما يؤخذ منه أن أساسه كان من اللبن ، وحوله منازل وأثل ونخيل وسوق قريبة منه ، وكان يحيط بالقرية كلها خندق .

وكان فى السوق آبار كثيرة ، قال الهمدانى إنها ٢٦٠ بئرا ماؤها عذب فرات ، وذكر الهمدانى بلادا وآثارا أخرى لطسم وجديس .

أما جديس :

فقد كانوا أتباعا لطسم وسكنوا معهم باليمامة وينسبهم النسابون أيضا إلى جديس بن لاوذ بن إرم بن سام بن نوح أو جديس أخ ثمود بن جاثر بن ارم بن سام بن نوح .

ويرى بعض المستشرقين أن اسم « جوديس » الوارد فى جغرافيا بطليموس هو اسم جديس ، وأنهم كانوا معروفين لليونان سنة ١٣٠ م .

وجاء فى بعض الروايات أن جذيمة الأبرش كان قد حارب قبيلتى طسم وجديس وتقول الروايات العربية إن هلاك طسم وجديس كان على يد حسان بن تبع الذى غزاهم بعد أن قدم إليه جماعة من طسم يشكون من وقيعة جديس بهم .

ويرى بعض المستشرقين إن هذا الغزو كان حوالى سنة ٢٥٠ للميلاد وقد اشتهرت طسم وجديس فى الأدب العربى القديم بهذين الاسمين ، كما اشتهرت باسم العمالقة ، وليس المعنى أنهم هم عمالقة مصر الذين أقاموا بها بضعة قرون ، وإنما هذه نسبة إلى « عمليق » أحد ملوك طسم ، وينسب العرب إليه قصة طويلة تشتمل على سبب هلاكه .

وتتلخص هذه القصة فى أن ملكا من طسم يقال له عمليق بن جباس ، وكان ملكا على طسم وجديس ابنى عامر بن ارم بن سام بن نوح النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان رجلا ظلوما جبارا جعل سنته أن لا تهدى بكر من جديس إلى بعلها حتى يدخل هو عليها ، حتى تزوج رجل من جديس عفيرة ابنة عفار أخت الأسود بن عفار عظيم جديس ورئيسها فلما أرادوا أن يهدوها إلى زوجها بدأوا بها عمليقا فأدخلوها عليه أولا ، فقضى معها حاجته ثم خلى سبيلها فخرجت إلى قومها شاقة ثيابها ودرعها عن عورتها وهى تقول :

لا معشر أذل من جديس أهكذا يفعل بالعروس

وجعلت عفيرة تحرض قومها على حرب عمليق وهى تقول :

أترضون مايؤتى إلى فتياتكم وأنتم رجال كثرة عدد الرمل
وترضون هذا يالقومى لأختكم عشية زفت فى النساء إلى البعل
فان أنتم لم تغضبوا بعد هذه فكونوا نساء فى المنازل والحجل
فموتوا كراماً أو أصيبوا عدوكم بداهية تروى ضراما من الجزل

ودبرت جديس مكيدة للإطاحة بذلك الملك الظلوم فدفنوا سيوفهم فى الرمل وعملوا طعاما للملك عمليق دعوه إليه فلما حضر فى خواصه ورجال بلاطه من طسم عمدت جديس إلى سيوفهم وقتلوا الملك ورجاله المقربين

إليه ، عدا رجل واحد اسمه رياح بن مرة ، فانه هرب منهم إلى تبع ملك اليمن ، قيل هو حسان بن أسعد ، فشكا إليه مافعلته جديس بملكهم واستنصره فسار ملك اليمن إلى جديس وأوقع بهم فأفناهم فلم يبق لطسم وجديس ذكر.

هذه خلاصة قصة هلاك طسم وجديس ويتخلل ذلك حديث عن امرأة من جديس اسمها (زرقاء اليمامة) كانت تبصر علي مسافة ثلاثة أيام وأنها لما حمل تبع على جديس طلبوا إليها أن تكشف لهم عن القوم فأنبأتهم بقدومهم فلم يصدقوها ثم تحققوا صدقها ولكن بعد فوات الأوان . وقد أمر الملك حسان بن أسعد بالزرقاء فأدخلت عليه ثم أمر بقلع عينيها فوجدوا للحدقتين عروقا سوداء من الكحل وكثرته ، وقد ذكرها الشعراء ، قال بعضهم وهو سطيح الكاهن :(١)

ما أبصرت ذات أشفار كنظرتها   يوما كما صدق الدنيا إذا سجعا
فحاولت نظرة ليست بكاذبة   إذ يرفع الآل رأس الكلب فارتفعا
قالت أرى رجلا فى كفه كتف   أو يخصف النعل يكفى أنه صنعا
فكذبوها بما قالت فصبحهم   ذو آل حسان يزجى البيض والشرعا
فاستنزلوا آل جو من منازلهم   وهدموا شاخص البنيان فاتضعا

٤ — جرهم

وجرهم هؤلاء غير جرهم القحطانية على رأى النسابين والإخباريين ولذلك يقولون لجرهم هذه جرهم الأولى وللأخرى جرهم الثانية ، ويقولون عن الأولى إنها من العرب البائدة . ويظهر من روايات الإخباريين أنهم كانوا يقيمون بمكة . وقد أبادهم القحطانيون .

---

(١) راجع « ملوك حمير وأقيال اليمن » ص / ١٤٣ .

٥ ـ العمالقة (١)

يقول جرجي زيدان إن المؤرخين يريدون بالعمالقة قدماء العرب، وخصوصا أهل شمالي الحجاز مما يلي جزيرة سيناء الذين فتحوا مصر باسم الشاسو (البدو أو الرعاة) ويسميهم اليونان « هيكسوس ». ويرى جرجي زيدان أن أصل لفظ « العمالقة » مجهول، والغالب في نظره أنهم نحتوه من اسم قبيلة عربية كانت مواطنها بجهات العقبة أو شماليها حيث كان العماليق على قول التوراة ويسميها البابليون « ماليق » أو « مالوق » فأضاف إليها اليهود لفظ « عم » أي الشعب أو الأمة فقالوا « عم ماليق » أو « عم مالوق » فقال العرب عماليق أو عمالقة ثم أطلقوه على طائفة كبيرة من العرب القدماء.

والنسابون يرجعون بأنساب العرب البائدة إلى آدم وينسبون العماليق إلى أخيه لاوذ وهم في خلاف كثير من ذلك القبيل.

وكان للعمالقة دولتان كبيرتان، إحداهما في العراق والأخرى في مصر وقد روى الإخباريون عنهم قصصا تصف أجسامهم وطولهم، وتتعرض لأبنيتهم وقدمهم، ولاتزال هذه القصص تروى إلى اليوم ويعود أكثرها إلى الإسرائيليات فقد روت التوراة قصصا عنهم وهي حاقدة عليهم حقدا يدل على أن العبرانيين كانوا قد لاقوا منهم مصائب وأهوالا لأنهم أول شعب صادفهم حينما حاولوا الدخول إلى فلسطين وظلوا يحاربونهم ويكبدونهم خسائر فادحة.

العرب العاربة (القحطانيون)

قحطان الذي يرد في الكتب العربية هو يقطان الذي يرد اسمه في سفر التكوين، وهو قحطان بن عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح صلى الله عليه وسلم في رأي أكثر النسابين، وهذا يدل على أن الإخباريين أخذوا هذا النسب من أهل الكتاب.

---

(١) راجع « العرب قبل الاسلام » لجرجي زيدان ـ ص / ٥٠ ـ ٥٢.

وهناك نفر آخر من النسابين حاول أن يربط بين قحطان وهود ثم نوح مستهدفين ربط هذا النسب بالأنبياء، وذلك عندما وجدوا أن العدنانيين يفخرون عليهم بأن فيهم النبوة ومنهم الأنبياء .

ونحن لا نعرف من أمر قحطان شيئا غير هذا النسب الذى يردده الإخباريون، وليس لدى العبرانيين من أمره غير ما ورد من أنه أحد أولاد عابر وآخر أولاده .

كذلك لا نستطيع أن نؤكد أن الانتساب إلى قحطان أو القحطانيين كان معروفا عند الجاهليين ، فلم يشر إلى ذلك القرآن الكريم ، ولم يرد له ذكر فى الكتابات الجاهلية . أما الشعر الجاهلى فاذا كان قد جاء فى الجاهلية القريبة من الإسلام، فلا يدل هذا حتما على أنه كان معروفا أيضا فى الجاهلية البعيدة عن الإسلام .

وقد قام المستشرقون بدراسات كثيرة حول هذا الاسم وأصله، ولكنها كانت جميعا دراسات ظنية لا تنتهى إلى شىء من اليقين .

وسنورد هنا جدول نسب قحطان كما جاء فى تاريخ ابن خلدون كنموذج لما ذكره النسابون فى نسب قحطان .

قحطان زيد
يعرب مرة
يشجب عمره
سبأ
حمير كهلان مالك
مالك الهميسع قضاعة
أبين الحاف
يقطن الغوث أسلم عمران عمرو

الغوث زهير سود بهراء بلى حيدان

جلوان

وائل ليث مهراة

أبين عريب

زيد عمرو زبان تعلب
(سليح)

جشم

عبد شمس حرم

جشم جهينا عليم نهد وبرة

معاوية سعد أسد

سعد أشجع النمر

قيس بنوعذرة شفيع اللات يتيم اللات

نهجعم فهم

عمرو خشين (تنوخ)

شرعب عمرو الابرص جسر

شعبان خيران شرعب جسان القبل سهل

العبيد النعمان

زيد الجمهور

معاوية

الضيزن

زيد الجمهور

أسلم كعب مالك ذورعين الحرث

عابر سبأ الأصغر عدى ذوجدن

ذى يزن العلس

صيفى زرعة عوف مرثد

شعد

قيس شداد

اقريقس زيا عمر مثيم الغوث خوالة

حزاز

مالك سوادة زيد

عدى احاطه ميثم مالك

الاوزاع

عوف الحبائر السحول

سعد يحصب الحرث

غزث

عامر بكر

بنو يعفر

كلب عوف كفانه

كعب عبد الله

رفيدة عوف هبل

زيد اللات بكر جناب

عدى عوف علم عدى زهير

عدى

ضمضم قنافة

كلب معقل

عوف حصين دهاره

اليف

بجدل

الفصل الخامس

مُدن قديمة هامّة

١ — مدينة أوفير

يرى بتراند توماس أن منطقة آبار العُوَيْفِرَة — بالقرب من بلدة القرية الموجودة فى أرض اليمامة — هى موضع مدينة أوفير القديمة التى اشتهرت بالذهب ، وورد ذكرها فى التوراة ، كما اشتهرت أيضا بالطواويس .

وبتراند توماس يرى أن اسمها العربى القديم عُفْر فحُرِّف فى العبرية أو اليونانية إلى Ofar أو Ophir .

وقد اختلف المؤرخون على مدينة أوفير ، فقد ورد ذكر أوفير فى التوراة وكانت هى البلد التى يجلب منها سليمان — ملك العبريين (٩٧٤ — ٩٣٢ ق.م) — الذهب والطواويس والنسانيس والعبيد ، ليقيم بها أبهة ملكه العتيد بمساعدة حليفه الفينيقى حيرام ملك صور (٩٧٠ — ٩٣٦ ق . م) .

وهناك ثلاث نظريات بشأن أوفير — نلخصها فيما يلى :

(ا) النظرية الهندية :

وهذه النظرية تقول إن أوفير هذه عبارة عن أيبيريا .

ومن علماء هذه النظرية كريستيان لاسن . وقد وجد كريستيان نصيرا آخر هو هورنل : الذى كان يقول إن أوفير عبارة عن مدينة على الساحل الغربى من الهند ، كانت تأتيها البضائع من أقاليم الهند المختلفة وجزيرة سيلان ، وكانت هذه المدينة عبارة عن سوق لهذه البضائع .

(ب) النظرية الافريقية :

وهى تقول إن مدينة أوفير هى عبارة عن مدينة زمبوى التى تبعد عن ميناء بورت فكتوريا بحوالى ستة عشر كيلو مترا بين نهرى الزمبيرى واللمبوبو . وقد قام آدم رندرس سنة ١٨٦٦ م بحفريات فى تلك المنطقة ،

ثم جاء بعده كارل ماوخ سنة ١٨٧١ م واعتمد على حفريات رندرس ، وقال : إن مدينة زمبوى هى نفسها أوفير ، ثم جاء كوبيترز وساندهما فى الرأى باعتبار أن زمبوى هى نفسها أو فير .

وقد قامت العالمة الأثرية كتن تومبسون بحفريات سنة ١٩٢٩ م فى أطلال مدينة زمبوى ، وكذلك قام عالم آخر هو ماكيفر بحفريات ، وقالوا إنه لايمكن أن ترجع هذه الأطلال إلى قبل القرن الخامس عشر أو الرابع عشر ، كما قالوا إن هذه الأطلال إفريقية محضة .

(ج) النظرية العربية :

ولهذه النظرية عدة أقسام وعدة علماء ، فبعضهم يقول إن أوفير تقع فى شرقى الجزيرة العربية ، ومن أنصار هذا الرأى العالم الأثرى جلازر : وهو يرى أن أوفير هى الساحل الغربى من الخليج الفارسى من الشمال حتى رأس مصندم .

وبعضهم يقول إن أوفير تقع فى غربى الجزيرة العربية ، ومنهم العالم الألمانى موراتيس : فهو يرى أن أوفير هى الجزء الجنوبى من ساحل الحجاز ومايتصل به من ساحل اليمن ، أو بعبارة أدق الساحل من قنفزة إلى عتود .

وبعضهم يرى أنها تقع فى جنوبى الجزيرة العربية ، وهم كثيرون لاداعى الى تفصيل الحديث عنهم .

والخلاصة : أن المصادر اليونانية واللاتينية القديمة ، وكذلك المصادر العربية تتفق على أن الجزيرة العربية ، ولاسيا الجانب الجنوبى الغربى منها ، كان موطنا للذهب ، فكان من الطبيعى أن يطلب سليمان – ملك العبريين الذهب منها لامن مكان قصى كالهند وأفريقيا ، وكان من الطبيعى أيضا أن يطلبه من الجانب الجنوبى الغربى من الجزيرة العربية لأنه أقرب أجزائها إليه ،

وكان أمامه فى سبيل ذلك طريقان : طريق برى عبر الصحراء ، وطريق بحرى على طول ساحل البحر الأحمر . ولكن سليمان آثر طريق البحر رغم أن قومه قوم زراعة ورعى لم يتمرسوا بركوب البحر ، ذلك لأن طريق القوافل شاق وقد تزيد نفقاته على نفقات طريق البحر بما يفرضه السبئيون — محتكروا طريق الصحراء — من أجور ومكوس ، وثمة سبب آخر دفع سليمان إلى اختيار طريق البحر هو أنه أراد أن يشرك معه حليفه حيرام ملك صور توددا ورغبة فى الانتفاع بمهارة قومه من الفينيقيين فى الملاحة وركوب البحر ، وربما كان حيرام نفسه هو الذى ألح على سليمان فى ذلك .

وإذن فقد كان الجانب الجنوبى الغربى من الجزيرة العربية هو المصدر الذى يستقى منه سليمان الذهب وهو أهم سلعة كانت تجلب من أوفير ؛

فأوفير إذن فى الجانب الجنوبى الغربى من الجزيرة العربية ؟

٢ — مكة المكرمة(١)

يرجح جرجى زيدان(٢) أن أصل اسم مكة آشورى أو بابلى ، لأن « مكا » فى البابلية « البيت » وهو اسم الكعبة عند العرب ، فسمى المكان بها إشارة إلى امتيازها بالبناء الحجرى عن سائر مايحيط بها من البادية » .

وقد ذكر بطليموس بأسم ماكورابا Makoraba ، ويبدو أنها كانت معروفة قبل زمنه بوقت طويل .

وقد جاء ذكر مكة فى كتاب ديودورس الصقلى فى القرن الأول قبل الميلاد فى أثناء كلامه عن النبطيين ، مما قد يراد به مكة ، وهو قوله : « ووراء

---

(١) العرب قبل الاسلام — ص / ٣٧٥ .

(٢) راجع تاريخ العرب قبل الاسلام ج / ٤ — ص / ١٨١ وما بعدها . وصالح احمد العلى ص / ٧٧ وما بعدها . وفيليب حتى . ج / ١ — ص/١٤٤ وما بعدها . ودائرة المعارف الاسلامية ، وكتابى مكة والطائف قبل الهجرة ، للامنس .

أرض الأنباط بلاد بنى (زومين) وفيها هيكل يحترمه العرب كافة احتراما كثيراً » ، فلعله يريد الكعبة ، وأما بنى زومين فربما أراد بهم جرهم أو غيرهم من قبائل العرب التى تولت مكة .

وتقع مكة فى منتصف طريق القوافل بين اليمن والشام فى واد من أودية جبل السراة ، وقد وصفها القرآن الكريم بأنها « بواد غير ذى زرع » وكانت مكة فى العصر الجاهلى من أهم مراكز القوافل التجارية ، كما كانت تعتبر أكبر مركز دينى للوثنية الجاهلية . ولانصل إلى منتصف القرن الخامس حتى يظهر بها قصى بن كلاب ومعه قبيلة قريش فيستولى على مكة ويخرج منها خزاعة . ولايعرف بالضبط أصل قريش ، وهل هى من عرب نجد أو أو من عرب الأنباط ، وقد زاد من شهرتها غزو الأحباش المسيحيين لليمن ، فتحولت أفئدة العرب الوثنيين إليها ، وحاول إبرهة والى الحبشة على اليمن أن يستولى عليها سنة ٦٧٠ أو ٦٧١ فباءت حملته بالفشل الذريع ، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحملة فى سورة الفيل ، فقال تعالى : « ألم ترى كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ، ألم يجعل كيدهم فى تضليل ، وأرسل عليهم طيرا أبابيل ، ترميهم بحجارة من سجيل ، فجعلهم كعصف مأكول » . ويغلب أن الطير الأبابيل وحجارة السجيل كناية عن وباء اجتاح الجيش الحبشى ، ويذكر ابن اسحق أن أول ماعرفت الحصبة والجدرى بأرض العرب هذا العام . وعرف ذلك العام فى التاريخ بعام الفيل :

ولم يصل الباحثون إلى رأى حاسم فيما يتصل بأصل اسم قريش . وللطبرى نص طويل(١) يفهم منه أنه ليس اسم شخص بل اسم سمكة ربما كانت طوطم قريش ، أو صفة أطلقت على بعض زعمائها الأولين مثل النضر بن كنانة . ويذهب مصعب الزبيرى وابن حزم وغيرهما إلى أن

---

(١) انظر الطبرى ٣/١٨٧ ، ابن حزم فى جمهرة انساب العرب ١٠ — ابن دريد : الاشتقاق ١٨ — الأغانى ١ / ١٢ — الأزرقى : تاريخ مكة ١ / ٦١ — ابن قتيبة : المعارف ٣١ .

« قريش » صفة أطلقت على قريش بن بدر بن مخلد أو على النضر بن كنانة . ويذهب ابن الكلبي إلى أنها أطلقت على فهر . أما الأزرقى(١) فيرى أنها أطلقت على قصى بن كلاب . وبعضهم يشتقها من «التقرش» : أى التجمع ، أو نسبة إلى سمكة القرش .

وكان أهل مكة أشرف العرب ، وكان كثير من العرب يعترفون لهم بالسيادة ، يقول ابن الفقيه(٢) : « إن أهل مكة لم يؤدوا فى الجاهلية إتاوة قط ، ودانت لهم خزاعة وثقيف وعامر بن صعصعة ، وفرضوا على العرب قاطبة أن يطرحوا أزواد الحل إذا دخلوا الحرم ، وهم بعد أعز العرب ، يتأمرون عليهم قاطبة » ، وكانوا يأخذون إتاوة من التجار الأجانب إذا ألموا بهم ، وكان ينزلها بيزنطيون وفرس للتجارة(٣) يدل على ذلك الصاحبيان الجليلان : صهيب الرومى وسلمان الفارسى : فمكة إذا مركز لتجارة العرب وهى أيضا كعبتهم المقدسة . وكل ذلك يدل أن مكة كانت تتمتع بمركز مرموق فى الجاهلية . وهذا مادفع لامنس إلى القول بأنها كانت جمهورية كجمهورية البندقية التجارية(٤) :

وكان المجتمع المكى يتألف من «قريش البطاح» : الذين ينزلون حول الكعبة ، وهم : هاشم وأمية ومخزوم وتيم وعدى وجمح وسهم وأسد ونوفل وزهرة ، وكانوا أصحاب النفوذ فيها ، ومن « قريش الظواهر » : الذين ينزلون وراءهم ومعهم أخلاط من صعاليك العرب والحلفاء والموالى ، والعبيد وكان أكثرهم من الحبشة ، وكانوا يقومون على حرف ومهن كثيرة .

---

(١) أخبار مكة للأزرقى (طبعة أوربا) .

(٢) كتاب البلدان لابن الفقيه (طبعة أوربا) ص / ١٨

(٣) انظر O'Leary, Arabia BeforeMuhammed (London, 1927) P. 184.
وراجع مروج الذهب للمسعودى (طبعة باريس) ج / ٢ – ص / ١٤٨ .

(٤) Lammens, La Mecque, P. 175,

وإذن فقد نشأت مدينة مكة مستفيدة من ناحيتين : الناحية الأولى : ناحية دينية جاءت من وجود الكعبة والمسجد الحرام بها ، وهى أول بيت وضع للناس ، يؤيد ذلك قوله : « إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركاً وهدى للعالمين » .

وكان العرب على اختلاف قبائلهم يكنون لهذا الحرم احتراما وتبجيلا كبيراً ، وكانوا يختلفون إليه فى مواسم الحج .

والناحية الثانية : وقد جاءت من موقع مكة الممتاز ، هذا الموقع الذى عرض إليه الأستاذ لامانس Lammens فى كتابه المشهور « مكة قبيل الهجرة » فقال: إن هذه المدينة نشأت فى موقع ممتاز عند أطراف آسيا البيضاء وفى مواجهة القارة الأفريقية السوداء ، وتقع أيضا عند منخفض كبير فى جبال السراة التى تقطع الحجاز من الشمال إلى الجنوب ، وعند مفترق الطرق الكبرى التى توصل إلى العراق وإلى الشام، ثم تنحدر جنوبا إلى بلاد اليمن ثم إلى المحيط الهندى . ومن هنا أصبحت مكة سوقا للتجارة العالمية ترد إليه بضائع العراق وسلع الشام وطرف اليمن .

هذه الظروف الدينية والجغرافية استغلها زعيم عربى فى النصف الأخير من القرن الخامس الميلادى . هذا الزعيم هو :

قصىّ بن كلاب : الذى تنتسب إليه قبيلة قريش ، نشأ هذا الرجل عند القبائل العربية التى تقيم على أطراف البادية ، واستطاع أن ينتزع مكة انتزاعا من أيدى القبائل العربية التى كانت تسيطر عليها من قبله ، ويقال إن البيزنطيين وعملاءهم من الغساسنة قد مدُّوا له يد العون فى هذه الحركة الانقلابية . ويؤكد الأستاذ لامانس Lammens حدوث هذه الواقعة ، ويستدل على ذلك من اسم هذا الزعيم نفسه ، فاسمه فى العربية معناه الغريب أو الوافد . ومن ناحية أخرى ورد ذكره فى النقوش النبطية القديمة، فاسم قصى كان من أسماء الآلهة عند الأنباط ، الأمر الذى يدل على صدق مايقال عن نشأة هذا الزعيم

عند أطراف الشام ، ثم انحداره إلى مكة فى القرن الخامس الميلادى . استطاع قصى أن ينشىء جمهورية دينية تجارية تفيد من هذا الوضع إلى أبعد الحدود ، فتشتغل بالتجارة بين الأسواق العالمية المختلفة ، وقد اتخذت هذه الجمهورية الدينية التجارية لها سياستين :

(١) سياسة خارجية : تلائم فيها بين مصالحها المادية وبين التيارات العالمية ، فكانت تهتم بصراع الجبابرة القائم بين الفرس والبيزنطيين ، وتعتمد على ما يمكن أن نسميه « بالتسرب السلبى » Penetretion Pacifique وتستطيع عن طريق هذا التسرب السلمى أن تضمن حرية المرور فى بلاد الفرس وبلاد اليمن وبلاد الروم على حد سواء .

وعملا بهذه السياسة نرى زعماء مكة يعقدون المعاهدات التجارية مع القوى العالمية المعاصرة لهم ؛ فعقدوا معاهدة مع البيزنطيين استطاعت قوافل العرب بمقتضاها أن تصل إلى القسطنطينية ، وأن تحمل إلى هذه المدينة المترفة الحرير والبسط والسجاد والعطور التى كانت تحمل من أسواق اليمن والعراق. كما عقدت معاهدات مشابهة مع الفرس ومع الأحباش ومع الإمارات الصغرى فى بلاد العرب كإمارة اليمامة ومع الإمارات التى نشأت فى اليمن بعد اضمحلال الدولة الحميرية .

(٢) أما السياسة الداخلية : لهذه الجمهورية — إذا جاز استعمال هذا التعبير — فقد كانت تنبع من مبدأين معروفين :

(أ) الاتحاد فى سبيل المصلحة المشتركة :

(ب) إنشاء حكومة مكية رائدها الحصول على أكبر قدر ممكن من الحرية الشخصية ، وأقل قدر ممكن من الأعباء الحكومية ، وإيمانا بهذه السياسة استطاع المكيون أن يقيموا حكومة توحد بين القبائل المختلفة ، وكان يمثل هذه القبائل مجلس عام يسمى « مجلس الملأ » ، كان يختار لهذا المجلس أكثر الزعماء القرشيين

خدمة للمصالح التجارية ، وأكثرهم خبرة فى النواحى السياسية والاقتصادية . وعملا بهذه السياسة أيضا وزعت المناصب الإدارية فى هذه الجمهورية على البطون والعشائر المختلفة ، فكان لكل منها نصيب من الحياة العامة .

واستطاعت مكة — عن طريق الملاءمة بين السياستين الخارجية والداخلية أن تحقق الغنى والثراء ، وأصبح زعماؤها ملوك المال والتجارة ، ليس فى بلاد العرب فحسب ، بل فى الشرق الأدنى كله .

واستطاعت مكة أيضا عن طريق هذه السياسة إقامة نوع من السلام والطمأنينة تنمو فى ظله تجارتها ويتطور اقتصادها .

وعززت حكومة مكة سياستها الخارجية والداخلية بقوة عسكرية قائمة وهى ماتسمى بقوة الأحابيش : وهذه الكلمة ليست مشتقة من الأحباش ، ولا تنسب إلى عنصر حبشى ، إنما كان هذا الجيش القرشى — فى الحقيقة — جيشا عربيا خالصا ، ولم يكن للرقيق فى هذا الجيش نصيب يذكر ، إنما أساس هذه القوة العسكرية نوع من التحالف بين قريش من ناحية وبين قبيلتين عربيتين هما قبيلة كنانة وقبيلة خزاع ، هاتان القبيلتان كانتا تقومان بدور الجند المرتزقة ، فتخوضان الحرب إذا مادعتهما قريش للقتال ، وكان لهذه القوة العسكرية قائد يعرف بقائد الأحابيش أو قائد الجيش القرشى ، وكان لهذا الجيش أيضا تنظيم عسكرى قائم ، وكانت له راية أو علم يذكر بها إذاكانت الحرب .

وقريش إذاكانت قد اعتمدت على هذه القوة العسكرية ، فانها اعتمدت الى جانب ذلك على قوة الدبلوماسية العربية : فكانت بارعة — إلى حد كبير فى تأليف العرب ، وتكوين الأحلاف القبلية الكبرى .

والمؤرخون الذين عرضوا لتاريخ مكة عرفوا أن القرشيين كانوا زعماء الدبلوماسية العربية — دون منازع — ، وأنهم خلقوا للقيادة والزعامة ،

واكتسبوا خبرات سياسية أهلتهم أن يتزعموا العرب ، ويؤسسوا الدولة العربية الإسلامية فيما بعد ، وأن يحتفظوا بإمامة العرب فى يدهم أكثر من ستة قرون من الحكم المتصل والزعامة المتصلة . هذه البراعة الدبلوماسية تظهر بوضوح فى المعاهدة المشهورة فى تاريخ الدعوة الإسلامية وهى معاهدة « الحديبية » . وقد درس الأستاذ لامانس Lammens هذه الوثيقة وأعتمد عليها فى إظهار البراعة القرشية فى السياسة والأخذ والعطاء ، وتظهر القدرة القرشية فى تأليب العرب من خلال النضال بين المدينة الاسلامية ومكة القرشية .

هذه المظاهر من القوة السياسية والاقتصادية كانت تخفى وراءهامظاهر ضعف ، هذه المظاهر ستكون أكبر مشجع لنجاح الثورة الإسلامية والدعوة الإسلامية ، ويمكننا خدمة للسيرة النبوية أن نعدد .

مظاهر الضعف :

١ ــ هذه الوحدة القرشية التى رأيناها تلوح من خلال نظم الحكم ، كانت فى الحقيقة وحدة زائفة ، أو بمعنى أدق كانت وحدة مبنية على مصلحة مادية مشتركة ؛ فقصى بن كلاب ــ كما يذكر النسابون ــ جمع بطون مختلفة فى صعيد واحد للإفادة من هذا الوضع الاقتصادى والدينى ، ومن دراستنا لموضوع الأنساب نعرف أن قريشا من التقرش ، أى الاجتماع للمصلحة السياسية والمادية ، ومن دراسة الوضع القرشى قبيل ظهور الإسلام يتبين لنا أن هذه القبيلة كانت تنقسم إلى قسمين مختلفين :

(أ) قريش البطاح : وهى التى كانت تقيم حول الكعبة ، وكانت تحتكر النفوذ الاقتصادى والسياسى ، وتؤلف شبه ارستقراطية قرشية .

(ب) قريش الظواهر : وسميت بهذا الاسم لأنها كانت تقيم فى فى الأحياء الخارجية أو الضواحى لمكة .

وإلى جانب هذا الانقسام ، كانت قريش كلها ببطاحها وظواهرها — تنقسم إلى مجموعات ثلاث :

(أ) المجموعة الأولى — بزعامة بنى هاشم وأحلافهم .
(ب) « الثانية بزعامة بنى عبد شمس وأحلافهم
(ج) « الثالثة بزعامة بنى مخزوم وأحلافهم

هذه المجموعات الثلاث كانت تتنافر سياسيا واقتصاديا ؛ فقد كان بنو هاشم ، زعماء المجموعة الأولى ، كان حظهم فى السياسة كبير وحظهم فى المال قليل ، أما المجموعتان الثانية والثالثة فكانتا تجمعان الرأسمال المكى ولكن حظهما من التفوق الأدبى والسياسى كان أقل .

هذه القسمة ستظهر وتفرق العصبية القبلية حينما تظهر النبوة فى ظل بنى هاشم ، وتخشى المجموعتان الأخريان أن يؤدى هذا إلى مضاعفة نفوذ بنى هاشم ، وإلى إختلال التوازن فى الحياة المكية ، خصوصا وأن الإسلام كان دعوة اشتراكية تهاجم رأس المال المستبد المستغل ، أو بمعنى آخر يهدد المصالح العبشمية والمصالح المخزومية .

٢ — ظاهرة الضعف الثانية نشأت نتيجة السياسة الخارجية المكية ، وهى سياسة تقوم على الحياد الإيجابى والتسرب السلمى ، وعقد المعاهدات مع جميع القوى وجميع الأطراف ، وهذا أدى إلى أن تصبح مكة مدينة مفتوحة ، ومعنى مفتوحة أن دخولها مباح أمام جميع الناس وأمام الأجانب التجار من مختلف الجنسيات من فرس وروم وأحباش ويمنيين ومصريين كانوا يخزنون البضائع فى مكة ويعيشون فى منطقة الأحياء الخارجية أو منطقة الظواهر ، وفى سبيل تجارتهم وأموالهم كانوا يحالفون الأسر المكية ذات النفوذ ، وبطبيعة الحال كان هؤلاء التجار يحملون معهم سلع الأفكار .

إلى جانب هؤلاء التجار كان المجتمع المكى يحوى طوائف من الرقيق ، وكانوا فريقين :

(أ) الرقيق ذو اللون الأبيض : من الروم أو من أسرى الفرس ، أو من الرقيق الذى يجلب من أسواق البحر الأبيض المتوسط ، وهؤلاء كانوا يقومون بالعمل اليدوى فى التجارة القرشية ، ويقومون أيضا بالصناعات والحرف اليدوية الدقيقة والتى تحتاج إلى مهارة خاصة مثل صناعة السروج والنجارة والبناء .

(ب) الرقيق ذو اللون الأسود : وهذا النوع كان يقوم بالحرف الوضيعة فى المجتمع المكى مثل حلب الماشية والأغنام ، والرعى والزراعة أحيانا ، وبعض الأعمال الأخرى اليدوية التى لاتتطلب ذكاء ولا خبرة أو مهارة خاصة .

هؤلاء الرقيق ، ومعهم التجار الأجانب ، أدخلوا المسيحية إلى مكة وكذلك اليهودية . ويرى الأستاذ لامانس Lammens أن المجوسية أيضا دخلت مكة عن هذا الطريق ، فى الوقت الذى ضعف فيه سلطان الوثنية ، وهى فى مكة وبين عرب الشمال لم تكن وثنية أصيلة ، إنما كانت وثنية وافدة جاءت من الشمال أو من الجنوب ، وطبيعى أن عرب مكة وغيرها من المدن لم يفهموا ماصاحبها من فلسفات وماخفى بين أسرارها من ميتافيزيقا (ماوراء الطبيعة) . وقد أدى ذلك إلى أن الديانة فى مكة انحدرت إلى مستوى السحر والكهانة ، ويتجلى ذلك من دراسة حروب «الفجار» التى اندلعت فى مكة قبل الاسلام ،ومن حروب أبى سفيان بن حرب مع الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، ومايروى من أنه كان يحمل صنم اللاتّ والعزى معه أثناء تلك الحرب .

وكان من نتيجة ضعف الوثنية من ناحية ، وتسرب الأفكار الواردة من ناحية أخرى ، أن ظهرت ظاهرة فكرية فريدة هى الكفر بالوثنية من ناحية والكفر بالديانات الأخرى كالمسيحية واليهودية ، واتجاه قوم من

جمهرة المفكرين إلى العزلة طلبا لمعرفة أسرار الكون والوصول إلى كنه الذات الإلهية . هذه الطبقة أو الطائفة تسمى بالحنيفية : وكانت الطليعة الأولى للثورة الفكرية الكبرى التى أظلت مكة بظل الإسلام :

٣ — مظهر الضعف الثالث : نتج عن الانتقال ، فى مدينة مكة ، من من المجتمع البدوى واقتصادياته القائمة على المساواة والمشاركة فى السرّاء والضراء ، إلى الرأسمالية الطاغية التجارية ؛ وهى تجمع رأس المال فى يد قلة من الناس وحرمان الكثرة من حقها فى هذا المال ، هذا الانتقال سيؤثر فى نواح كثيرة :

(أ) سيؤثر فى العصبية القبلية ويضعف من شأنها لأن المجتمع البدوى تكاد الفردية فيه أن تكون مستحيلة ، إنما نمت ظاهرة الفردية فى المجتمع المكى حيث التجارة والمغامرة الفردية ، ونموها سيؤثر فى نشر الإسلام ، لأن معنى هذا أنه من الممكن أن يخرج الناس عن إجماع القبيلة مثل ماحدث مع أبى لهب عم الرسول ، ومع غيره من زعماء عبد شمس ومخزوم ؛ إلى جانب هذا رابطة الدم كأساس لتكوين المجتمع ، أصبحت ضعيفة ، ووجدت إلى جانبها رابطة المال كأساس لتكوين المحالفات فى مثل هذا المجتمع المكى .

(ب) إن هذا التطور الاقتصادى سيؤثر بالضرورة فى المستوى الأخلاقى لأهل مكة ، ومعروف أن الأخلاق البدوية تتمثل فى قانون المروءة العربية بمظاهرها المختلفة ، ولاشك أن رأس المال والحياة التجارية ستقلب هذا القانون رأسا على عقب ، فالتجارة لاتعرف نصرة الضعيف ولاالكرم الحاتمى ، وإنما سيتحولان حتما فى هذا المجتمع إلى حب المال والقعود والتخاذل عن نصرة الضعيف ، ولعل حض الإسلام على البر والإحسان معناه قلة البر والإحسان فى مثل هذا المجتمع وتحولهما إلى الشح والحرص

على المال ، حتى معنى الشرف نفسه سيتعدل فى هذا المجتمع ، فلم يعد شرف المولد فقط أو شرف الشجاعة والفروسية ، إنما سيصير شرف المال والجاه :

هذه الظروف الإقتصادية ستؤثر أيضا حتى على العقيدة نفسها ؛ ويجب أن نعرف تماماً أن العرب لم يكونوا من غير عقيدة ، وإلا لاستبعدناهم من عداد البشر ، إنما كانت لهم عقيدة هى (القدرية) : ومعناها الإيمان بالقضاء والقدر حلوه ومره ، خيره وشره ، هذا الإيمان سيفسر لهم الظواهر الغريبة ، وسيفسر لهم الغِنى والفقر ، والسعادة والشقاء ، والحياة والموت ، وسيحيل تحول المال إلى عبادة مادية (Materialism) : وهى الإيمان بأن المال صانع الحياة الذى جعل مكة – فى هذا المكان القفر – أغنى مجتمع عربى شمالى بل وأرقى مجتمع عربى شمالى ، فانتشرت فيه ظاهرة الإلحاد .

كل هذه الظروف مهدت للانفجار الكبير فى الطاقة الروحية الهائلة الذى حدث بظهور الإسلام ، ونجاح دعوته وانتشارها فى مشارق الأرض ومغاربها ، وعلاجها لهذه الأدواء والعلل والنزعات العامة التى رانت على المجتمع المكى قبل انبثاق نور الإسلام ليضيئ بأنواره غياهب الجهالة الجهلاء ، وليزيح عن البصائر سحب الأوهام ، فتنتهج المنهج القويم ، وتهتدى إلى الصراط المستقيم ، وليؤذن مؤذن الحق والعدل : أن قد رجعت الحقوق إلى أهلها ، وردَّت المظالم إلى نصابها ، وتقرر مبدأ الدستور الإلهى (القرآن الكريم) ، فلا حاكم ولا محكوم ، ولا سيد ولا مسود ، ولا أصيل ولا دعى ، ولا فضل لقرشى على حبشى إلا بتقوى الله ، قال تعالى : « ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم » ، وفى معنى الحديث القدسى « الجنة لمن أطاعنى ولو كان عبداً حبشيا ، والنار لمن عصانى ولو كان حرا قرشيا » .

المدينة المنورة (يثرب)

ونمضى إلى شمالى مكة على بعد نحو ثلاثمائة ميل ، فنلتقى بيثرب التى ذكرها بطليموس فى جغرافيته ، كما ذكرتها الكتابات المعينية : وهى تقوم فى واد خصب. معتدل الجو فى معظم فصول السنة عدا بعض فترات الصيف التى تشتد بها الحرارة ، ولكنها لا تبلغ حرارة مكة القاسية .

ويقال إن العمالقة أول من سكنوا المدينة ، وظلوا بها حتى نزلها اليهود فى القرن الثانى الميلادى على أثر اضطهاد الرومان لهم فى فلسطين ، والمظنون أنهم الذين سموها باسم المدينة (مدينتا) وهو اسم آرامى ، وقد ظلوا على دينهم ولغتهم ، واتخذوا العربية فى حياتهم اليومية ، وإن ظلوا يحتفظون بالعبرية فى طقوسهم الدينية وقد أمر الرسول صلى الله عليه وسلم ، زيد بن ثابت أن يتعلم لغتهم ولسانهم(١) .

ومازال هؤلاء اليهود مسيطرين على المدينة حتى وفدت عليهم قبائل الأوس والخزرج الأزدية من الجنوب ، فأصبحوا هم سادتها الحقيقيين ، وكانوا وثنيين يحجون إلى مكة وأصنامها . وفى كتب التاريخ والأدب أيام ومواقع كثيرة لهم مثل يوم سمير ، ويوم حاطب ، ويوم السراة ، ويوم فارع ، ويوم الربيع ، ويوم البقيع ، ويوم معبس ومضرس ويوم الفجار ويوم بعاث. وظلت الأوس والخزرج فى حروب وأيام مستمرة ، لولا أن هاجر الرسول وصحبه إليهم فاصبحوا بنعمة الله إخوانا ، ودخلوا فى دين الله أفواجا .

وتختلف المدينة عن مكة اختلافا كبيرا من حيث الموقع ، ومن حيث الظروف المناخية ، ومن حيث أثر البيئة المدنية فى سكان المدينة على مختلف

---

(١) أنظر البلاذرى (طبعة أوربا) ص / ٤٧٤ .

طبقاتها — إذ معروف، كما فصلنا ذلك من قبل، أن المدينة واحة تقع على أطراف الحجاز الشمالية، ومساحتها لا تزيد على عشرين ميلا مربعا، هذه الأميال العشرون تجمع بين صفتين :

الصفة الأولى : هى التربة البركانية الخصبة :

والصفة الثانية : هى وفرة المياه الجوفية .

وهذان العاملان إذا اجتمعا سيؤديان إلى نشأة الزراعة ولقد كانت الزراعة هى العامل المسيطر على الحياة المدنية حتى كانت الهجرة وقيام الدولة العربية الإسلامية .

وتاريخ المدينة القديم يحيط به نفس الغموض الذى أحاط تاريخ مكة، فاسم (يثرب) ورد فى النقوش المعينية القديمة، وورود هذا الاسم ربما يدل على أن المعينيين فى مشروعاتهم التجارية فى بلاد الشام قد أقاموا مستعمرة معينية فى هذا الموضع وليس ببعيد أن تكون جالية معينية قد نزحت إلى هذا المكان ثم أقامت فيه حتى انقضى العهد المعينى، وورث السبئيون مشروعات المعينيين التجارية فعادت هذه المدينة إلى الظهور مرة أخرى فى النقوش السبئية . ونستطيع أن نقول أيضا إن جالية سبئية أقامت فى هذا الموضع كما أقامت فيه الجالية المعينية من قبل، وغير هذا لانستطيع أن نستنطق النصوص القديمة، فقد خيم الغموض على تاريخ المدينة حتى كان القرن الأول الميلادى، وكانت سنة ٧٠ م على وجه التحديد، حينما أغار الرومان على بيت المقدس وخربوا هذه المدينة فخرجت القبائل اليهودية المشردة فى الآفاق تبحث لها عن مستقر ووطن تقيم فيه، فأقامت هذه القبائل اليهودية على أطراف الشام ونزلت فى الواحات الشمالية، وأغلب الظن أنها دخلت المدينة وأقامت فيها، لأن يهود المدينة كانوا قد استعربوا واتخذوا الألقاب والأسماء العربية وقالوا الشعر العربى،

وظهر بينهم غير شاعر كان ينظم بالعربية مثل كعب الأشرف(١) وكادت حياتهم أن تكون عربية خالصة ، مما دفع بعض الباحثين إلى الظن بأن القبائل اليهودية كانت قبائل عربية اعتنقت اليهودية .

والرأى الأرجح فى نظرى أن هذه القبائل خرجت من فلسطين كما خرجت أخوات لها من قبل وأقامت فى المدينة ، وطال مقامهم بها وخالطوا العرب واحتكوا بهم مما أكسبهم الصبغة العربية ومعروف أن الإسلام ظهر فى القرن السابع الميلادى ، أى بعد استقرار اليهود بنحو ستة قرون ، هذه القرون الستة كفيلة تماما بتغيير الطابع والحضارة والحياة .

ثم برزت المدينة مرة أخرى فى أواخر القرن الثالث الميلادى وأوائل الرابع الميلادى حينما اضطرب شأن الجنوب واضمحلت الحياة السياسية والاقتصادية ، وبدأت القبائل الجنوبية تنزح من أرض الجنوب بحثا عن أوطان جديدة ومن هنا كانت الهجرة الكبرى المعروفة فى التاريخ العربى باسم هجرة الأزد والخزرج فقد دخلت بعض بطون هذه الهجرة المدينة. وأقاموا مع اليهود يؤدون الأعمال اليدوية ، ويقومون بالزراعة فساد نوع من التعاون بين اليهود من ناحية وبين العرب من ناحية أخرى فاليهود يقدمون رأس المال والعرب يقدمون العمل اليدوى ، وانتهى هذا التعاون إلى نوع من الحيازة ، حيازة الأرض ، يقوم الأوس والخزرج بهذه الحيازة ويؤدون عنها نصيبا من المحصول الزراعى .

وكما رأينا فى مكة تأثير الانتقال من المجتمع البدوى إلى المجتمع الزراعى فى مصير سكان هذه البلاد فكذلك كان الحال بالنسبة للمجتمع المدنى ، فظروف مكة مهدت لأن تجعل منها المبعث وظروف المدينة مهدت لأن تجعل منها المأوى والمهجر ، ظروف المدينة نقلت السكان ــ لا أقول من الحياة

---

(١) راجع فى شعراء اليهود بالمدينة ــ السيرة النبوية لابن هشام . وطبقات الشعراء لابن سلام ــ والأغانى ١٩ / ٩٧ ، ١٠٦

البدوية فقد كان الأزد يزرعون فى اليمن إنما أقول من المجتمع الزراعى الرحب إلى المجتمع الزراعى المحدود الرقعة والإنتاج، وكان لهذا الانتقال أثره الواضح فى حياة السكان وفى علم الاقتصاد نستطيع أن نتنبأ بالحقيقة والنتائج المترتبة عليها ؛ أرض محدودة سكان يتزايدون باستمرار . معناه قلة الإنتاج من ناحية وضعف مستوى دخل الفرد من ناحية أخرى ، وتغلب حياة الفقر والشظف وانخفاض المستوى الاجتماعى والاقتصادى .

وهكذا كان حال الأوس والخزرج فقر مدقع يدفعهم أن يلتمسوا لمدينتهم آفاقا اقتصادية رحبة . وعند علماء الاجتماع مبدأ مشهور هو أن الزراعة تشجع على الفرقة الاجتماعية Agriculture fasters frigmination بمعنى أن الحياة الزراعية لا تشجع على الفردية التى رأيناها تسود المجتمع المكى إنما تساعد على أن تعيش جماعات صغيرة من الناس عيشة استقلالية إعتمادا على الرقعة الضيقة من الأرض ، فكانت النتيجة أن العشيرة والقبيلة أصبح لهما شأن فى المجتمع المدنى .

وعندما نعرض لدستور الرسول — صلى الله عليه وسلم — فى تنظيم الحياة فى المدينة سنرى أن القبيلة والعشيرة ظاهرة واضحة خلال هذه النصوص .

والنتيجة التى أريد أن أنتهى إليها هى أن الأوس والخزرج انتقلا بعصبياتهما وحروبهما وأيامهما إلى هذ المجتمع الجديد.

وكتب السيرة تتحدث عن الحروب بن هذين الحيين وقد ذكرنا من قبل أمثلة لهذه الحروب التى كان آخرها اليوم المعرف بيوم (بعاث) سنة ٦١٧ م . ولا شك أن هذه الحروب ستكون مدمرة للاقتصاد الزراعى، ذلك الاقتصاد الذى يحتاج إلى الأمن والطمأنينة والتعاون .

وكان الأوس والخزرج يمثلون جمهرة الفقراء واليهود يمثلون الطبقة الرأسمالية ويريدون أن يحققوا نوعا من الوحدة تجعلهم يستغلون هذ المجتمع الزراعى أحسن استغلال لصالحهم، وهم لايريدون حاكما من الأوس

ولا من الخزرج وإنما يريدون قوة محايدة تجمع بين الحيين ، ولا تتعصب إلى أحد الفريقين . وكانت هذه القوة المحايدة هى الإسلام بزعامة محمد ابن عبد الله . وإذا كانت ظروف مكة قد حالت دون نجاح الدعوة إلى الإسلام النجاح المنشود ، فإن ظروف المدينة قد ساعدت على تهيئة التربة الخصبة والمناخ الصالح لانتشار الدعوة الإسلامية انتشارا واسعا امتد إلى بلاد الصين .

٤ — الطائف

وتقع فى الحجاز وهى على بعد ٧٥ ميلا إلى الجنوب الشرقى من مدينة مكة وسميت طائفا فيما يقال لحائطها الذى كان يحيط بها ، وتسمى الطائف أيضا وادى وج ، وهى أرض مرتفعة ممتدة على ظهر جبل غزوان ، ويبلغ ارتفاعها نحو ٦٠٠٠ قدم عن سطح البحر .

وقد عثر فى الطائف على نقوش قديمة وكان أكثر سكانها عند ظهور الإسلام من ثقيف كما كان يساكنهم بطون من حمير ، وتحف بالطائف أودية كثيرة تسيل فيها المياه فى موسم الأمطار ، وحولها عيون ومياه وآبار كثيرة .

وهى بلد حدائق وبساتين وفاكهة ورياحين ، كان أهلها من عدوان الذين منهم حكم العرب عامر بن الظرب ، وكثر عددهم حتى قاربوا سبعين ألفا ، بغى بعضهم على بعض فهلكوا وقل عددهم ، وكان قسى بن منبه « وهو من ثقيف » صهرا لعامر بن الظرب ، وكان بنوه بينهم ، فلما ضعف أمر عدوان تغلبت عليها ثقيف وهم فرع من هوازن (١) ولها ذكر كثير فى صدر الإسلام وبعده .

ونظرا لارتفاع الطائف عن سطح البحر بنحو ستة آلاف قدم فهى طيبة الهواء ، ومن ثم كان القرشيون يصطافون فيها حيث الرياض والبساتين

---

(١) ابن خلدون ص ٣٣٨ ج ٢ .

تجعلها أشبه ما تكون بقطعة من رياض الشام ، وحيث يجدون مالذ وطاب من الثمرات كما ينعمون بالخمور والشراب .

وكانت تنزلها كما ذكرنا من قبل ثقيف الوثنية، ويروى أنها من بقايا ثمود، فالثموديون حين تقوضت إمارتهم فى الشمال هاجروا إلى الطائف ، كما هاجر اللحيانيون إلى منازل هذيل بين مكة والمدينة . ولم تكن حياة الثقفيين تختلف عن حياة القبائل البدوية النجدية فى شيء سوى ما أتاحته لهم زروعهم وثمارهم من الاستقرار على نحو ما استقرت قريش فى مكة :

الفصل السادس

من قصص القدماء

١ – قصة بلقيس وسليمان عليه السلام

هى بلقيس بنت الهدهاد بن شرحبيل (١) بن بريل (٢) ذى سحر بن شرحبيل بن الحارث بن مالك بن زيد بن سدد بن زرعة ، وهو حمير الأصغر بن سبأ الأصغر بن كعب بن سهل بن زيد بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن جيدان بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن حمير الأكبر بن سبأ الأكبر .

أما أمها فهى الحرورى إبنة اليلب بن صعب العرمى ملك الجن .

وبلقيس هى التى ذكرها الله تعالى فى كتابه الكريم فى سورة (النمل). وكانت ذات المشورة على أبيها الهدهاد ، حتى عرف ذلك جميع حمير منها ؛ فلما أشرف الهدهاد على الموت بعث إلى رؤساء حمير وأهل الرأى والقدر منهم ؛ فقال : إنى استخلفت عليكم بلقيس ، فعجب القوم كيف يدع أهل بيته وأفاضل قومه ويولى عليهم امرأة ، فقال الهدهاد : يا معاشر حمير إنى قد عجمت أهل الفضل والرأى ، فما رأيت مثل بلقيس رأيا وحلما وعلما ، و مع أن أمها من الجن . ولقد جاء ذكر بلقيس وسليمان ، عليه السلام فى شعر لنشوان بن سعيد الحميرى (المتوفى سنة ٥٧٣) (٣) ، يقول نشوان :

أم أين بلقيس المعظم عرشها   أو صرحها العالى على الأصراح
زارت سليمان النبى بتدمر   من مارب دينا بلا استنكاح
فى ألف ألف مدجج من قومها   لم تأت فى إبل إليه طلاح (٤)
جاءت لتسلم حين جاء كتابه   بدعائها مع هدهد صداح
سجدت لخالقها العظيم وأسلمت   طوعا و كان سجودها لبراح (٥)

---

(١) فى الاكليل : يقال الهداد بن شرح بن بريل . وفى المنتخب ص ١٠٩ : الهدهاد بن شرح بن شرحبيل .

(٢) فى المنتخب أن بريل اسم لذى سحر ، ومثله فى الاكليل ج ٢ .

(٣) راجع كتاب : ملوك حمير واقيال اليمن – ص / ٧٧

(٤) الطلاح جمع طلح (بكسر الطاء مهملة) وهو المهزول والمعيى ، يقال : بعير طلح وناقة طلح .

(٥) براح (بالباء الموحدة مثل قطام) : علم للشمس .

والأبيات السابقة تروى كيف أن بلقيس زارت سليمان النبي بتدمر ، تتعرض الأبيات أيضا لقصة إسلامها لله رب العالمين نزولا على كتاب سليمان الذى أرسله لها مع أحد جنده الأمناء وهو الهدهد ، وكانت بلقيس من قبل تسجد للشمس من دون الله . فلما أراد الله تعالى إكرامها بسليمان خرج مخرجا لا يدرى أين مراده ؛ إليها أم إلى غيرها ، وكان إذا ركب من منزله بتدمر غدا منه ، فيكون مقيله نصف النهار باصطخر من أرض فارس ، ثم يتروح فى بيت كالبستان فى غدوه ورواحه ، فى مثل ذلك المسير إلى كل وجه يأخذ إليه ، يقول تعالى : « غدوّها شهر ورواحها شهر » .

وكان سليمان بن داود عليه السلام ؛ إذا أراد الخروج وضع سريره على الأرض وكراسيه وكراسى أصحابه وجلسائه ، ثم جلس وأجلس الإنس على يمينه وشماله ، وأجلس الجن من ورائهم بحسب مراتبهم ؛ فمنهم قائم ومنهم جالس ، وأظلته الطير وأقلته الريح ، وسارت بهم لا تزيل أحدا من مجلسه حتى يأذن لها سليمان بوضعهم فتضعهم على الأرض ، فيقضى غرضه ويأمرها بالرجعة فترجعهم إلى حيث يريد .

وعن وهب بن منبه (١) الأبناوى قال : ورث سليمان الملك ، وآتاه الله النبوة وسأله أن يهب له ملكا لا ينبغى لأحد من بعده ، ففعل ، فسخر له الريح والجن والإنس والطير ، وكان فيما يذكرون أبيض اللون ، وضيئا جسيما ، كثير الشعر ، يلبس الثياب البيض ، وكان نبيا غزاء قل ما يغفل عن الغزو .

فلما كان ذات يوم فى مجلسه تفقد الطير الذى يظله من الشمس ، فرأى فيما يزعمون موضع الهدهد مفتوحا للشمس ، « فقال مالى لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين » فلما عرف أنه قد غاب قال : « لأعذبنه عذاباً شديداً أو لأذبحنه أو ليأتينى

---

(١) فى المنتخب ص ١١٥ ، وهب بن منبه من علماء التابعين ، يروى أنه قال : قرأت من كتب الله ٩٣ كتابا ، وهو من أبناء فارس المبعوثين مع سيف بن ذى يزن .

بسلطان مبين » أى بحجة فى عذره عن غيبته ، « فمكث غير بعيد » ثم جاء ثم جاء الهدهد فسأله سليمان عن سر غيبته فقال : « أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين » إنى رأيت « امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم ، وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون .. قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين . اذهب بكتابى هذا فألقه إليهم ثم تولى عنهم فانظر ماذا يرجعون » ثم كتب معه : « بسم الله الرحمن الرحيم . من سليمان بن داود ، إلى بلقيس ملكة سبأ وقومها ، أما بعد فلا تعلوا علىّ وأتونى مسلمين) ، فحمل الهدهد الخطاب وطار إليها حتى أتاها ، فألقى إليها بالكتاب ، فوقع فى حجرها ، فقالت : « يا أيها الملأ إنى ألقى إلى كتاب كريم ، إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ، أن لا تعلو على وأتونى مسلمين قالت يا أيها الملأ أفتونى فى أمرى ماكنت قاطعةً أمراً حتى تشهدون . قالوا نحن أولو قوة وأولو بأس شديد ، والأمر إليك فانظرى ماذا تأمرين . قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها ، وجعلوا أعزّة أهلها أذلة وكذلك يفعلون» ثم قالت : «وإنى مرسلة إليهم بهدية فناظرة بما يرجع المرسلون » وقالت للوفد: إن قبل الهدية فهو ملك يرغب فى المال ، وإن كان نبياً فليس له رغبة فى الدنيا ، وإنما رغبته فى دخولنا فى دينه فهو لا يقبل الهدية. ثم أمر سليمان عليه السلام برد جميع ما بعثت به إليها . وقد ذكره الله تعالى ، وقال للرسل « أتمدوننى بمال فما آتانى الله خير مما أتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ، ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون » إلا أن تأتينى مسلمة هى وقومها ، فلما رجعت إليها الرسل بما قال كتبت إليه : إنى قادمة إليك بملوك قومى ، حتى أنظر ما أمرك وماتدعونى إليه من دينك : ثم شخصت إلى سليمان فى ألف ألف فارس ، فجعل سليمان يبعث الجن فيأتونه بخبر مسيرها ومنتهاها . حتى إذا دنت جمع من عنده من الجن والإنس ممن تحت يده فقال : « يا أيها الملأ أيكم يأتينى بعرشها قبل أن يأتونى مسلمين . قال عفريت من الجن : أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإنى عليه لقوى أمين»

قال آخر : « أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك » ، « فلما رآه مستقراً عنده قال هذا من فضل ربى . ليبلونى أأشكر أم أكفر ، ومن شكر فانما يشكر لنفسه ، ومن كفر فإن ربى غنى كريم . قال نكرو الهـا عرشها ننظر أتهتدى أم تكون من الذين لا يهتدون » . فلما أنتهت إلى سليمان وكلمته، أخرج إليها عرشها ، ثم قال لهـا « أهكذا عرشك ؟ قالت كأنه هو » ؛ ثم أمر سليمان بالصرح وقد عملته الشياطين من زجاج أبيض كأنه الماء فى صفاء لونه ، فأرسل المـاء من تحت الصرح ، ثم وضع له سريره فيه ، فجلس عليه ، وعكفت عليه الطير والجن والإنس ، ثم قال : « أدخلى الصرح » ليريها ملكا هو أعز من ملكها ، وسلطانا هو أعز من سلطانها « فلما رأته حسبته لجة ، وكشفت عن ساقيها » اعتقادا أنه ماء لتخوضه إليه ، قيل : « إنه صرح ممرد من قوارير » ، فلما انتهت إلى سليمان دعاها إلى عبادة] الله عز وجل ، وترك السجود للشمس من دون الله . فقالت بقول الزنادقة] : أوليس هو فى ناحية ، فخر سليمان ساجدا لله تعالى لأجل ما سمع منها ، وسجد الناس معه ، فلما رفع رأسه سألهـا فى عجب : ويحك ماذا قلت ؟ قالت ، وأنسيت ما قلت ، وفى رواية أخرى : وأنسيت ما كانت قالت : « رب إنى ظلمت نفسى وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين » فأسلمت وحسن إسلامها ثم زوجها سليمان من ذى بتع . وحمير تقول : اسم ذى بتع بريل ، وردهما إلى اليمن ، وسلط زوجها ذا بتع على اليمن ، ولم يزل بها ملكا حتى توفى سليمان عليه السلام .

وقال قوم : بل تزوج بها سليمان بن داود (١) .

---

(١) والذى فى التيجان وأخبار عبيد بن شرية ـ انها تزوجت سليمان ، وفى التيجان ص ١٦٢ أنها ولدت له داود ورحبعم ، وان داود مات فى حياة سليمان أبيـه .

ونختتم القول فى قصة بلقيس وسليمان عليه السلام بشعر لأسعد تبع (١) .

ولقد بنت لى عمتى فى مأرب   عرشاً على كرسى ملك متلد
عمرت بـه أزمانها فى ملكها   مغبوطة واستدعيت بالهدهد
عمرت بـه تسعين عاما دوخت   أرض العراق إلى مفازة صهيد
يغدوا إليها ألف ألف كلهم   عقب لها يتعاقبون من الغد
قرأت سبيل الرشد حين تبينت   ما قد أتاها من حكيم مرشد

ويقول أسعد أيضا :

ولو ان الخلود كان لحى   باحتيال أو قوة أو عديد
أو بملك لما هلكنا وكنا   من جميع الأنام أهل الخلود

قال وهب بن منبه الأبناوى : لما مات سليمان أولى أمره فى الخلق من بعده ابنه رحبعم بن سليمان بن داود عليهما السلام .

٢ — قصة الملكة الزباء مع جذيمة الأبرش

معروف أن الزباء هى التى قتلت جذيمة الأبرش بن مالك الأزدى : وكان أبرص فعظم عند الناس أن يقولوا الأبرص ، فقالوا الأبرش ، وكان ملكا عظيما بالحيرة قبل المنذر ، وكان قد قتل ملكا من العمالقة يقال له عمرو وهو أبو الزباء الملكة ابنة عمرو بن ظرب بن حسان بن أذينة بن السميدع بن هوثر بن عريب بن مازن بن لأى بن عميلة بن هوثر بن عمليق بن السميدع بن الصوار بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن جيدان بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن حمير الأكبر . وكانت العمالقة ملوك الشام ، وكانت الزباء فى حصن منيع حصين ، فلم يقدر عليها جذيمة الأبرش فاندلعت الحرب بينهما مدة من الزمان ، ثم إن الزباء أرسلت إلى جذيمة تعرض عليه نكاحها مقابل أن يضم ملكها إلى ملكه .

---

(١) راجع : ملوك حمير وأقيال اليمن — ص / ٨٦

وقد سميت الزباء لكثرة شعرها ، وكذلك يقال : رجل أزبّ أى كثير الشعر . وقد أجابها جذيمة إلى عرضها بشأن الزواج منها . ثم إنه تجهز للمسير إليها لولا أن وزيره قصير بن عمرو اللخمى نهاه بقوله : إن العروس تزفّ إلى البعل ، فإن كانت جادة أتت إليه . فلم يستمع جذيمة لمشورة وزيره وواصل سفره إليها ، ولم يكد يصل إلى حصنها ومدينتها حتى لقيته بجنودها ، فقال وزيره قصير : أيها الملك ، قد عصيتنى فيما مضى ، وإن لى رأيا فيما بقى ، قال جذيمة : وما هو ؟ قال إن رأيت جنودها أحاطوا بك فإنى معرض لك فرسك « العصا » فانج عليها ، وإن لم يحيطوا بك ، وساروا بين يديك ، فليس عندهم بأس . فأحاطت جنود الزباء بجذيمة الأبرش ، فعرض له قصير العصا ، فشغل عن ركوبها ، فركبها قصير فنجا عليها ، وأحاطت جنود الزباء بجذيمة الأبرش ، فقبضوا عليه ، فنظر إلى قصير والفرس تهوى به كالريح ، فقال : ما ضل من تهوى به العصا ، أى ما ضل عن الرأى ، فأرسلها مثلا ؛ ثم قدموا به إلى الزباء ، فكشفت عن شعر عانتها وقد طال طولا عظيما لتركه ، وعظم الحزن على أبيها ، فلما كشفته ، قالت : أترانى ذات بعل ياجذيمة ؟ ثم أمرت بطشت لدمه فقطعت رواهشه : أى فصدت عروق يديه ، وقالت : احتفظوا بدم الملك ؛ فقال جذيمة : دعوا دماً ضيعه أهله ، فأرسلها مثلا أيضا .

وولى الأمر بعد جذيمة ابن أخته عمرو بن عدىّ بن مالك بن نصر بن أغار بن لخم ، جدّ آل المنذر ، واتخذ قصيرا وزيرا لا يقدم على شيء دون مشورته ، فقال له قصير : إن أطعتنى أخذت بثأر خالك من الزباء ، فقال له عمرو : لا أخالفك فى رأى ، فقال له قصير : أغضب علىّ ، واجدع أنفى ، وخذ مالى وعبيدى وضياعى ودورى . فقال له عمرو : إنى لا أجزم على ذلك ، فلم يبرح به قصير حتّى أطاعه وجدع أنفه وأخذ ماله .

فخرج قصير إلى الزباء ، فشكا إليها ما فعل به عمرو ، فقربته وأدنته فأشار عليها أن تعطيه مالا يتجر فيه ، ففعلت ، وكان يتجر إلى أسواق العراق ويأمر إلى عمرو أن يمده بالأموال ، وهو يزيده على مال الزباء ، فكان

يأتيها بأضعاف مالها ، ويأتي لها بهدايا العراق وطرائفه العجيبة . ثم إنه طلب من عمرو أن يأتيه بالرجال ففعل ، فحملهم على الإبل ومعهم السلاح ، وسار بهم حتى دخل المدينة ، وهم فى الغرائر على الإبل ومعهم السلاح ، فلما دخلوا طعن البواب غرارة على تلك الإبل بخلال كان فى يده ، فصاح رجل من تلك الغرارة لما أصابه البواب بذلك الخلال ، فصاح البواب ؛ ووثب الرجال الذين هم على الإبل وفى أيديهم السلاح ، وقد كانت الزباء نظرت الإبل قبل دخولها فقالت :

ما للجمال مشيها وئيدا أجندلا تحمل أم حديدا

وكان قد صوّر للزباء صورة عمرو ، فلما دخل إليها عمرو ، قلعت فصّ خاتم كان فى يدها ، وكان تحته السم فمصته ، وقالت : "بيدى لا بيد عمرو ، فلما مصت السم ماتت قبل أن يصل إليها عمرو ، فملك عمرو بلادها مع بلاده ، واقتص منها لخاله جذيمة الأبرش .

قال نشوان بن سعيد الحميرى :(١)

والحرة الزباء سيق لها الردى
بيدى قصير الحصر لا الأرباح
قتلت جذيمة وهو خاطبها ولم
تفعل كفعل نضيرة وسجاج

النضيرة هذه : إبنة الملك الضيزن بن معاوية ، من بنى العبيد بن الأخرم بن مرو بن النخع بن سليح(٢) بن حلوان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة ، وأمه جيهلة وبها يعرف ، فيقال الضيزن بن جيهله وكان ملكا بالحضر :

---

(١) ملوك حمير واقيال اليمن — ص / ١٧٤ .

(٢) فى المنتخب ص / ٥٠ : قال ابن دريد سليح فعيل من السلاح . وسليح هو عمرو بن حلوان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة ، ونسبه فى الطبرى . ج / ١ ص / ٤٨٤ كما يأتى : زعم هشام بن الكلبى أنه من العرب من قضاعة وانه الضيزن بن معاوية بن العبيد بن الأجرام بن عمرو بن النخع بن سليح بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة ، وروى قصة نضيرة بشكل آخر ،

وأما سجاح : فهى إمرأة من تميم أدعت النبوة والوحى ، وهى من ولد حرام بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن عمرو بن تميم ، وكانت فى زمن مسيلمة الكذاب بن ثمامة ، فأرسل إلى سجاح أن تلقاه للمناظرة أيهما أولى بالنبوة ، وذلك بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم ، فلما التقيا للمناظرة عرض لها مسيلمة بالنكاح ، فسلمت الأمر إليه وشهدت له بالنبوة ، ونكحها مسيلمة ، وكان مسيلمة إذا صلى بالعرب قال : مايريد الله بتولية أدباركم وسجودكم على جباهكم ، صلوا لله قياما كراما .

هذه قصة الزباء مع جذيمة الأبرش ، أما الاستطراد إلى ذكر نضيرة وسجاح فمن باب الشرح والتفسير لفهم بيتى الشعر السابقين :

الزباء فى التاريخ(١) :

الزباء تدمريه المولد ، وإسمها الأصلى « بنت زباى » ، وقد نالت من امبراطور الرومان لقب « سبتميا » وهو من أكبر ألفاظ الشرف عندهم ، وشمل نفوذها تدمر وغيرها ، وهى من أصل عربى غير أنها كانت تتكلم الآرامية والقبطية وبعض اللاتينية واليونانية ، وكانت سيرتها أقرب إلى سير الأبطال من سير النساء ، وكثيرا مايرد إسم الزباء مقترنا بإسم زينوبيا ، فهل هذه هى زينوبيا ملكة تدمر ، أم هى غيرها ؟ وممن يرى أنها غيرها المستشرق الإنجليزى ردهوس وله فى ذلك رسالة ضافية(٢) :

وللأب سبستيان رنزفال اليسوعى رسالة جزيلة الفائدة عن زينوبيا أو الزباء(٣) ، نشرت تباعا فى السنة الأولى من المشرق ، وقد أثبت أنها الزباء .

---

(١) راجع العرب قبل الاسلام — لجرجى زيدان ص / ١٠١ — ١٠٤ .

(٢) Were Zenubia & Zebba'u Identreal

(٣) أنظر عن الزباء الأب سبستيان رنز فال فى مجلة المشرق : « زينوبيا وتدمر » السنة الأولى (١٨١٨ ، ج ٢٠ ص ٩٢٠ وما يليها ، وبقية البحث فى الأعداد التالية من المشرق ، وقد استوعب فيه المؤلف كل ما قيل عن زينوبيا ، وأثبت أنها الزباء .

تعقيب وتلخيص للبحث

وبعد . . . فهذه دراسات متواضعة جدا فى العصر الجاهلى ، توخيت فيها – بقدر الإمكان – المنهج العلمى ، وإن كان من الصعوبة دراسة تاريخ العرب فى تلك الحقبة الغابرة بالمنهج العلمى الدقيق الذى يعرفه العلم الحديث من كلمة التاريخ .

ولقد قدمت للبحث بمدخل إلى تاريخ الجزيرة العربية بينت فيه أن الجزيرة العربية كانت مهدا من مهود الإنسانية ، وأنها شاهدت كثيرا من الدول والممالك فى عهود مختلفة ، كما كشف عن كثير من الآثار المادية التى تدل على ثقافة وحضارة ، وتحقق البحث أيضا من وجود آثار أخرى لم يكشف النقاب عنها بعد ، ولاتزال تتطلب الجهد والعناء فى سبر أغوارها ، وتجلية أسرارها واستفسارها عن الحقائق التاريخية التى اقترنت بها ، زيادة على ماعرفه العلماء حتى الآن .

ثم أعقبت تلك المقدمة التاريخية بدراسة لجغرافية الجزيرة العربية ، ولقد أثبت البحث الحديث فى جغرافية الجزيرة العربية وطبيعة أرضها وتكوينها أنها لم تكن فى القديم كما هى عليه الآن يبس وجفاف وفقر فى الأموال والأنفس والثمرات بل كانت شبه جزيرة بالمعنى الجغرافى الصحيح تجرى فيها الأنهار وتتكاثر الأمطار وتنتشر البحيرات العذبة فى شتى بقاعها ويعم الخصب أكثر أرجائها . ولقد اعتمدت فى تلك الدراسة الجغرافية على كتب الجغرافية العربية مثل كتاب « معجم البلدان » لياقوت الحموى الرومى البغدادى ، وكتاب « صفة جزيرة العرب » للهمدانى ، وكتاب : « قلب جزيرة العرب » لفؤاد حمزة .. إلى آخره . كما اعتمدت أيضا على كتب التاريخ التى تحوى فصولا أو إشارات عن جغرافية الجزيرة العربية مثل كتاب « تاريخ العرب قبل الإسلام » لجواد على ، وكتاب « تاريخ العرب » (مطول) لفيليب حتى (الترجمة العربية) ، وكتاب « العرب قبل الإسلام »

لجرجى زيدان .. وغير ذلك من الكتب التى تتعرض لتاريخ العرب قبل الإسلام . وتناولت فى هذه الدراسة الجغرافية تحديد الجزيرة العربية عند علماء العرب وعلماء الغرب، فذكرت تقسيم العرب لجزيرتهم وبينت هذه الأقسام وهى :

تهامة، الحجاز، نجد، العروض واليمن. ولاحظت كيف أن العرب لم يدخلوا سوريا ولبنان وفلسطين فى ذلك التقسيم، ثم أوردت رأى جغرافيى اليمن مثل أبى محمد الهمدانى فى كتابه « صفة جزيرة العرب » ، كما أوردت رأى جغرافيى اليونان والرومان من أمثال هيرودوت وسترابون .

وفى الفصل الثانى :

تكلمت عن « اسم العرب » فحاولت تتبع الآراء التى قيلت فى هذا الصدد مثل رأى المستشرق مولر ، وما ورد فى النقوش السامية القديمة عن اسم العرب وما ذكر فى آداب اليونان القدماء على لسان إيشيلوس (٥٢٥–٤٥٦ ق .م) وهو يعتبر أول من ذكر العرب بهذا الاسم ثم تلاه هيرودوت (نحو سنة ٤٨٤ – ٤٢٥ ق . م) ثم إكسينفون (٤٣٠–٣٥٤ ق . م) ، ثم ذكرت آراء السريان ، وتتبعت النصوص والنقوش الآشورية التى ورد فيها اسم العرب، كما تتبعت نصوص العهد القديم التى ذكرت العرب وأعقبت ذلك الفصل ببحث آخر بعنوان : « تسميات أخرى للجزيرة العربية » أوردت فيه الاستعمالات المتعددة لاسم العرب فى الآداب اليونانية واللاتينية والإيرانية والعبرانية والأرمينية والتركية والصينية .

أما الفصل الثالث :

فقد أطلقت عليه اسم « العصر الجاهلى » ، تناولت فيه معنى لفظ الجاهلية ، وتحديد العصر الجاهلى ومصادر العصر الجاهلى التاريخية ؛ وقسمت هذه المصادر إلى :

١ – المصادر العربية الإسلامية

٢ ـ المصادر غير العربية وتنقسم إلى :

(أ) المصادر الإغريقية .

(ب) المصادر المسيحية .

(ج) المصادر اليهودية .

٣ ـ النقوش والكتابات الأثرية .

وفى الفصل الرابع :

تناولت « طبقات العرب وأنسابهم » ومعروف أن علماء العرب قد أجمعوا على تقسيم سكان الجزيرة العربية إلى ثلاث طبقات :

١ ـ عرب بائدة .

٢ ـ عرب عاربة .

٣ ـ عرب مستعربة .

ثم ناقشت أسس التقسيم السابق ومصادره .

وتكلمت بعد ذلك بالتفصيل عن العرب البائدة، وتتكون هذه الطبقة من قوم عاد وثمود وطسم وجديس وأميم وجاسم وعبيل وعبد ضخم وجرهم الأولى والعمالقة وحضورا . وقد تكاثرت روايات المؤرخين العرب فى ترتيب الشعوب العربية البائدة على جعل عاد أقدم هذه الشعوب، ومن ثمّ فقد بحثت بالتفصيل أصل اسم عاد ومساكنهم وديانتهم وبعض المعارف العربية عنهم . وتناولت بالبحث أيضا نسب ثمود ومساكنهم والكتب والنقوش القديمة التى ورد فيها ذكر ثمود، وديانة ثمود وحديث هلاكها، وقصة ثمود وناقة صالح عليه السلام كما ورد ذكرها فى القرآن الكريم .

وتكلمت باختصار شديد عن طسم وجديس وجرهم والعمالقة . ولم أتعرض لذكر أميم وجاسم وعبيل وعبد ضخم وحضورا نظرا لندرة ما كتب عنهم فى المصادر القديمة .

وأخيرا تحدثت عن « العرب العاربة » فأوردت جدول نسب قحطان كما جاء فى تاريخ ابن خلدون كنموذج لما ذكره النسابون العرب عن نسب قحطان .

أما الفصل الخامس :

فقد اخترت له عنوانا هو « مدن قديمة هامة » واخترت نموذجا لهذه المدن : مكة المكرمة ويثرب أو المدينة المنورة والطائف ، ثم مدينة أوفير ؛ التى ورد ذكرها فى التوراة ، وكانت هى البلد التى يجلب منها سليمان — ملك العبريين : (٩٧٤ — ٩٣٢ ق . م) الذهب والطواويس والنسانيس والعبيد . ولخصت النظريات التى حددت موقع مدينة أوفير وهى :

١ — النظرية الهندية — ٢ — النظرية الافريقية — ٣ — النظرية العربية .

وفى الفصل السادس والأخير :

اخترت قصتين من قصص مشاهير النساء العربيات ورد ذكر الأولى فى القرآن الكريم والنصوص والنقوش العربية القديمة ؛ واتخذت نموذجا لذلك « قصة بلقيس ملكة سبأ وسليمان نبى الله عليه السلام » .

أما القصة الثانية فلم يرد ذكرها فى القرآن ولكنه ورد فى النصوص والنقوش العربية القديمة وخاصة التدمرية ، وهى قصة « الملكة الزباء أو زينوبيا مع جذيمة الأبرش » .

والواقع أنه ليس لدينا من تاريخ العصر الجاهلى إلا مجموعات من الأخبار والروايات التى تناقلها إخباريو العرب جيلا عن جيل ، وأضيف إليها كثير من الأساطير والشروح والتفاسير ، ولم تصل هذه المعلومات إلى تدوين كتابى إلا فى زمن متأخر عن زمن مصادرها ؛ أى منذ أواسط القرن الثانى للهجرة وطبيعى أن مثل هذه الأخبار أبعد ما تكون عن أن تقدم أساسا تاريخيا صحيحا أو تعتبر وثائق تستقى منها المعلومات وتستخلص النتائج . ومن ثم تجد

من تصدوا لتاريخ العصر الجاهلى يختلفون كثيرا فى أكثر جزئيات هذا التاريخ ولعلهم لم يصلوا بعد إلى رأى حاسم فى معرفة أنساب العرب وتحديد عناصرهم وتمييز أقسامهم وطبقاتهم ، ولذلك أيضا نجد المؤرخين المحدثين وبخاصة الأوربيين — إذا تعرضوا لتاريخ جزيرة العرب اقتصروا على تاريخ عرب الجنوب ومن تفرع منهم فى الشمال كالثموديين واللحيانيين ، وربما تجاوزوا ذلك إلى دراسة كل من وجدت لهم نقوش من سكان الجزيرة وأطرافها كالنبط والتدمريين :

والحق أن فى تاريخنا العربى القديم كثيرا من الأحداث والشخصيات البارزة التى كان لها عظيم الأثر فى تغيير مجرى التاريخ ، لو حاولنا أن نتناولها بعقولنا المثقفة ثقافة حديثة لا ستخرجنا منها الكثير مما يثرى مكتبتنا العربية ، ويضيف إليها الجديد الذى تحتاجه نهضتنا المعاصرة فى سائر الفنون والآداب والعلوم الإنسانية .

المراجع

١ ـ تاريخ العرب قبل الاسلام ـ لجواد على (طبع بغداد) .

٢ ـ تاريخ العرب (مطول) لفيليب حتى (الترجمة العربية) ج / ١

٣ ـ قلب جزيرة العرب ـ لفؤاد حمزة .

٤ ـ صفة جزيرة العرب ـ لأبى محمد للهمدانى (طبع مصر) ، طبع ليدن سنة ١٨٨٤ م .

٥ ـ معجم البلدان ـ لأبى عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى الرومى البغدادى ـ ليبزج ـ بروك هوس Brockhaus .

٦ ـ تاريخ هيرودتس (٤٨٠ ـ ٤٢٥ ق . م) .

٧ ـ العصر الجاهلى ـ د . شوقى ضيف (ط ٢ ـ دار المعارف) .

٨ ـ دائرة معارف الكتاب المقدس .

٩ ـ العرب قبل الاسلام ـ جورجى زيدان (طبع دار الهلال ـ القاهرة) .

١٠ ـ الحيوان ـ للجاحظ (طبعة الحلبى) .

١١ ـ القرآن الكريم .

١٢ ـ مصادر الشعر الجاهلى وقيمتها التاريخية ـ د. ناصر الدين الأسد (طبعة دار المعارف) القاهرة سنة ١٩٦٢

١٣ ـ اخبار عبيد بن شريه ـ طبع الهند بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية سنة ١٣٤٧

١٤ ـ التيجان ـ لوهب بن منبه ـ طبع الهند .

١٥ ـ الاكليل ـ لأبى محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف الهمدانى .

ـ الجزء الأول من الاكليل ـ مصور بالزنكوغراف ـ وطبع شطر منه فى أوربا .

ـ الجزء الثانى من الاكليل ـ مصور بالزنكوغراف ـ الجزء الثامن من الاكليل ـ طبع الكرملى .

ـ الجزء العاشر من الاكليل ـ طبع المطبعة السلفية بالقاهرة سنة ١٣٦٨

١٦ ـ الروض الآنف ـ شرح على سيرة ابن هشام ـ ط مصر سنة ١٩١٤

١٧ ـ السيرة النبوية ـ ط بولاق ١٢٩٥ هـ .

١٨ ـ تاريخ الطبرى (تاريخ الرسل والملوك) لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى ـ تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم (القاهرة ـ دار المعارف سنة ١٩٦٠ م ـ سلسلة ذخائر العرب رقم (٣٠) .

١٩ ـ المعارف لابن قتيبة (مصر سنة ١٣٠٠ هـ) .

٢٠ ـ تاريخ اليعقوبى ـ لابن واضح اليعقوبى (ليدن ١٨٨٣) .

٢١ ـ مروج الذهب ـ جزءان ـ للمسعودى (مصر سنة ١٣٠٤ هـ) .

٢٢ ـ العقد الفريد ـ لأبى عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسى . (الطبعة الثانية ـ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ القاهرة ١٩٤٨)

٢٣ ـ الأغانى لأبى الفرج الاصفهانى ـ منشورات دار الثقافة ببيروت ، طبعة بولاق سنة ١٢٨٥ هـ .

٢٤ — Coussin de Perceval ; Essai sur l'histoire arabes l'islamisme.

٢٥ — Carsten Niebuhr, Riesebeschreibung nach Arabien und andern umliegenden Laendern Koepenhaven 1772-1838 — 2 Vols.

— Joseph Arnaud : Relation d'un voyage à Mareb dans Journal Asiatique, 1848-1874.

٢٧ — O,Leary, Arabia Before Mohammed (London, 1927), P. 184.

٢٨ ـ ملوك حمير واقيال اليمن ـ تحقيق وتعليق السيد على بن اسماعيل المؤيد واسماعيل بن أحمد الجرافى ـ القاهرة سنة ١٣٧٨ هـ .

٢٩ ـ سفر التكوين ـ الاصحاح الرابع .

٣٠ ـ البيان والتبيين ـ للجاحظ ج/١

٣١ ـ تاريخ ابن خلدون .

٣٢ ـ دائرة المعارف الاسلامية .

٣٣ ـ كتابى : مكة والطائف قبل الهجرة للأمنس .

٣٤ ـ جمهرة أنساب العرب ـ لابن حزم .

٣٥ ـ الاشتقاق لابن دريد .

٣٦ ـ أخبار مكة للأزرقى (ط أوربا) .

٣٧ ـ البلدان لابن الفقيه (طبعة أوربا) .

المحتوى

صفحة

مدخل الى تاريخ الجزيرة العربية ... ... ج

الفصل الأول ـ جغرافية الجزيرة العربية

تقسيم الجزيرة العربية ٤
١ ـ تهامة ٥
٢ ـ نجد ٦
٣ ـ جبال السراة (الحجاز) ٧
٤ ـ العروض ١٠
٥ ـ اليمن ١٣
تقسيمات أخرى للجزيرة العربية ١٥

الفصل الثاني ـ اسم العرب

تسميات أخرى لسكان الجزيرة ٢٧

الفصل الثالث ـ العصر الجاهلى

معنى لفظ الجاهلية وتحديد العصر الجاهلى ٣٣
مصادر العصر الجاهلى التاريخية ٣٥
١ ـ المصادر العربية الاسلامية ٣٦
٢ ـ المصادر غير العربية ٤٥
المصادر الاغريقية ٤٥
المصادر المسيحية ٤٧
المصادر اليهودية ٤٨
٣ ـ النقوش والكتابات الأثرية ٥٠

الفصل الرابع ـ طبقات العرب وانسابهم

العرب البائدة ٥٥
العرب العاربة ٥٧

صفحة
العرب المستعربة ... ٥٧
أسس التقسيم السابق ومصادره ... ٥٨
أولا ـ العرب البائدة ... ٦٢
١ ـ عاد ... ٦٢
أصل اسم عاد ... ٦٣
مساكن عاد ... ٦٦
بقايا معارف عربية عن عاد وديانتهم ... ٦٧
٢ ـ ثمود ... ٧٠
نسب ثمود ومساكنهم ... ٧١
الكتب والنقوش القديمة التى ورد فيها ذكر ثمود ... ٧٢
قصة ثمود وناقة صالح ... ٧٥
٣ ـ طسم وجديس ... ٧٩
٤ ـ جرهم ... ٨٣
٥ ـ العمالقة ... ٨٤
ثانيا ـ العرب العاربة ... ٨٤

الفصل الخامس ـ مدن قديمة هامة

١ ـ مدينة أوفير ... ٩١
٢ ـ مكة المكرمة ... ٩٣
٣ ـ المدينة المنورة (يثرب) ... ١٠٤
٤ ـ الطائف ... ١٠٨

الفصل السادس ـ من قصص القدماء

١ ـ قصة بلقيس وسليمان عليه السلام ... ١١٣
٢ ـ قصة الملكة الزباء مع جذيمة الأبرش ... ١١٧
تعقيب وتلخيص للبحث ... ١٢١
المراجع ... ١٢٧

الجمهورية العربية المتحدة

مطبوعات

المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية

– ١١٣ –

الكتاب الأول (٤٣)

القاهرة
١٣٨٥ – ١٩٦٩

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

وكيل الوزارة
علي سلطان علي
رئيس مجلس الادارة

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ٣٧٩٦ س ١٩٦٨ – ١٠٠٠